هذا كتاب فتوح مصر واعمالها
للشيخ الامام ابن اسحق
الاموى نفعنا الله به
وبركاته فى الدنيا
والآخرة
امين
م

هذا كتاب فتوح مصر واعمالها
للشيخ الامام ابن اسحق
الاموى نفعنا الله به
وببركاته فى الدنيا
والآخرة
آمين
م



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين * والعاقبة للمتقين * ولا عدوان الا على الظالمين * والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين * وعلى آله وصحبه اجمعين وسلم تسليما كثيرا آمين وبعد فهذا كتاب نذكر فيه فتوح مصر واعمالها على ايدى الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين * حدثنا يونس بن عبد الاعلى قرأت عليه بالمنبر المدينة عسقلان قال اخبرنا ابن شاكر بالمدائن قرأت عليه بالجوالية يوم الجمعة وعن عند قبر يونس بن متى عليه الصلاة والسلام قال لما فتح الله تبارك وتعالى على المسلمين ساحل الشام في سنة سبعة عشر من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب عمرو بن العاص بن وائل الى امير الجيوش وهو ابو عبيدة عامر بن الجراح كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عمرو بن العاص الى امين الامة السلام عليك ورحمة الله وبركاته وعلى من معك من المسلمين اما بعد فانى احمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم اعلم ان الله عز وجل قد فتح علينا ما بقى من الساحل وهو مدينة قيسارية قد اخذتها صلحا وهزمت منها قسطنطين بن هرقل باموالة وعياله ونحن مقيمون بالقيسارية ننتظر امرك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وعلى من معك من المسلمين قال وكتب ايضا يزيد بن ابى سفيان قال وكان ابو عبيدة قد رحل من حلب طالبا طبرية فوافاه الخبر وكان قد وصل الزراعة فلما وصل اليه الكتاب تهلل وجهه فرحا وسرورا وضجت المسلمون بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وكتب ابو عبيدة

من وقته كتابا الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يبشره بما فتح الله
على المسلمين وبما صنع يوقنا صاحب حلب وارسل الكتاب مع عرفجة
ابن مازن فاخذ الكتاب وركب ناقته وحمل عليها جرابا فيه زاده وقربة
ماء وصار قاصدا مدينة يثرب فما زال يجد السير حتى دخل المدينة الطيبة
الأمينة على صاحبها افضل الصلاة والسلام وكان ذلك يوم الجمعة المبارك
اول يوم من شهر رمضان المعظم قال فوجدت عمر بن الخطاب رضي الله عنه
بظاهر المدينة فلما رأيته ابركت ناقتي ونزلت اليه وسلمت عليه فنظر الي
ساعة وقال من الرجل فقلت له انا عرفجة بن مازن يا امير المؤمنين قال اما
كان لك اسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم قلت ولم ذلك يا امير المؤمنين
قال هذه الديباجة الحرير التي عليك لبسها حرام على الرجال ولا يصلح
لبسها الا للنساء فهل رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس مثلها
تصدق بثمنها على فقراء المدينة فاني والله دخلت يوما على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو نائم على سرير شريطه من ليف قد اثر الشريط في جلد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظرته بتلك الحالة بكيت فقال لي ما الذي
يبكيك يا عمر فقلت يا رسول الله اني اعلم انك عند الله افضل من كسرى وقيصر
وهما منعمان في الدنيا وانت يا رسول الله بهذه الحالة فقال يا عمر اما ترضى ان
تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة قال عرفجة فسلمت اليه الكتاب فاخذه وقرأه
فتهلل وجهه فرحا وسرورا قال عرفجة فنزلت في منزل خالتي عفراء ابنة ابي ايوب
الانصاري رضي الله عنه ونمت عندها تلك الليلة فلما اصبح الصباح لم
اقدر اقابل عمر وانا بتلك الحالة فقلعت الثياب ودفعتها لخالتي فباعتها
وتصدقت بثمنها على فقراء المدينة وسرت بعد ذلك الى عمر بن الخطاب رضي الله
عنه فلما رآني تبسم وقال يا ابن مازن ما فعلت بالديباجة التي كانت عليك
بالأمس فقلت يا امير المؤمنين دفعتها الى خالتي فباعتها وتصدقت بثمنها
على فقراء المدينة فقال لي عمر وما تفعلوا من خير فان الله به عليم ثم قلت
له يا امير المؤمنين اريد جواب الكتاب فكتب لي كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم
من عبد الله عمر بن الخطاب الى امين هذه الامة عامر بن الجراح اما بعد فاني احمد
الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد فرحت بما
فتح الله على المسلمين وانجاز ما وعدنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم من كنوز
كسرى وقيصر والحمد لله كثيرا وقد بلغني ان قوما من بادية الاعراب ستندوا

الى الدنيا ومحبتها وقد نصبت لهم شبابيك محبتها وقد تمسكوا بذيل غرورها وقد
نسوا نعيم الجنة وقصورها وقد لبسوا ثياب الديباج الحرير واكلوا ما صفا
من خبز الحنطة والحلوى والماء هم ذلك عن الاخرة وقد بلغني انهم تهاونوا
عن الصلاة فجردهم عن ساق الهمم واغلظ عليهم ولا تلين جانبك لهم
فيطمعوا فيك ومن اطاعك منهم الى شروط الاسلام فاحسن اليه واقم فيهم
حدود الله واعلم بانك راع وكل راع مسؤل عن رعيته وقد قال الله تعالى
الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا
عن المنكر ولله عاقبة الامور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حقك انك امين
هذه الامة فاعط الامانة حقها ومن ترك الصلاة فاضرب عليها وقد كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا اخبارا عن ربه عز وجل يقول الله سبحانه وتعالى
ان بيوتي في الارض المساجد وان زوارى فيها عبادى فطوبى لعبد تطهر
في بيته وزارني فحق على صاحب البيت ان يكرم زائره قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتقوا الله في الصلاة فان جميع المفروضات افترضها الله في الارض
الا الصلاة فقد افترضها الله في السماء وبعد ذلك اذا قرأت كتابي هذا فامر
عمرو بن العاص ان يتوجه بعسكره الى مصر وارسل معه عامر بن ربيعة
العامرى ومشايخ من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن يقتدى
بهم عند المشورة وتنفذ من يعتمد عليه الى ارض ربيعة وديار بكر واسأل الله
عز وجل لكم المعونة والنصر والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ثم
طوى الكتاب وختمه وسلمه الى عرفجة قال فاخذت الكتاب وركبت ناقتي
وسرت فلما كنت عند آبار نجد لقيني ركب من اهل اليمن فسألتهم عن ابي
عبيدة فاخبروني انه متوجه الى طبرية قال عرفجة فسرت اطلب الطريق فما
زلت حتى لقيت ابا عبيدة على الاردن فسلمت عليه وناولته الكتاب فلما اخذه
جمع المسلمين وقرأه عليهم ثم قال والله ما علمت ان احدا ترك الصلاة او شيئا
مما فرضه الله عليه الا جلدته قال الواقدى رحمه الله تعالى وبات المسلمون
تلك الليلة ولما اصبح الصباح جاء خالد بن الوليد من طرابلس فقرأ
ابو عبيدة عليه الكتاب ثم ان ابا عبيدة ارسل كتابا الى عمرو بن العاص
يامره بالمسير الى مصر فلما وصل الى عمرو الكتاب جهز نفسه للسفر وسافر
ومعه يزيد بن ابي سفيان وعامر بن ربيعة العامرى وجماعة من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وسار معه يوقنا صاحب حلب وكانوا اربعة الاف

قال

قال الواقدى رحمه الله تعالى وسار عمرو وجعل مسيره على يسار العريش وترك النقارة والوارادة والقصير ولم ينزل عليهم حتى اذا كان بموضع يقال له الفوير بالقرب من يمين من يطلب ارض مصر قال الواقدى رحمه الله تعالى قد قالت الرواة ان مصر كانت من حدود ارض النوبة الى عيذاب الى ساحل بحر الاسكندرية الى العقبة الكبرى عقبة ايلة وهى عقبة الحجاز كل ذلك فى مملكة مصر وكان ملكهم المقوقس بن راعيل وكان هذا الملك من اهل الرأى والتدبير والفضل وكان تلميذ الحكيم تاذمون وهو الذى صنع جلجلا لما غلبت الحيات على ارض مصر واخربتها فصنع هذا الجلجل فكان يحركه فيسمع صوته من رمية سهم فتخرج الحيات من الاجحرة فمن هربت نجت ومن وقفت هلكت وكان المقوقس من اعلم اهل زمانه وكانت القبط معه فى عيشة راضية وامور سنية وكان يتوقع ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكان حكيم ذلك الزمان بأرض مصر رجل يقال له قطاوس وهو الذى عمل دواليب الريح ورحا الهوا وكان قد عمر فى الآجال واشرف على مكنون الحكمة والاسرار وعرف سكة الذهب والفضة وصنوف الجواهر وعلم الحركات المتحركة بهبوب الرياح واجناس الاهوية وكان قد اطلع فى العلوم الذى قرأها فى الكتب السالفة ان الله عز وجل يبعث نبيا عربيا من اهل تهامة يدعوا الناس الى توحيد الله تعالى وعبادته ويظهر كلمة التوحيد وهى كلمة لا اله الا الله محمد رسول الله وينشر دينه فى الارض وتعلو كلمته وتملك اصحابه البلاد من مشارق الارض ومغاربها وعمل بحكمته فى ايام راعيل بن قطاوس ابى المقوقس جبلا عاليا على اعمدة من نحاس بموضع يعرف بعين شمس وجعل على الجسر اشخاصا مجوفة وجعل وجوهها مما يلى مصر وكتب عليها بالقبطية يقول اذا دارت هذه الاشخاص بوجوهها مما يلى الحجاز فقد قرب ملك العرب قال فبينما المقوقس قد ركب فى بعض الايام يريد الصيد والقنص وكان ذلك فى ايام هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بلغ الملك المقوقس فى مسيره الى عين شمس واذا بالاصوات قد علت من تلك الاشخاص وقد حولت وجوهها نحو الحجاز فايقن الملك بزوال ملكه وذهاب عزه فرجع عن مسيره وترك صيده ودخل قصره وجلس على سريره وجمع الاقسة والرهبان وكبار القبط وقال يا اهل دين النصرانية اعلموا ان زمانكم قد مضى وملككم قد انقضى وهذا زمان النبى المبعوث قد اتى وهو النبى المبعوث فى اخر الزمان

فلا نبي بعده وان هذا النبي يبعث بالسيف والرعب فلا بد لرجل من اصحابه ان
يملك البلاد ويذل العباد ويقهر الملوك ويملك ما تحت سريري هذا فانظروا
في امركم واصلحوا ذات بينكم وارفقوا برعيتكم ولا تجوروا في احكامكم
واياكم واتباع الظلم وخافوا واعطوا الحق من انفسكم ولا يستطيل قويكم
على ضعيفكم واعلموا ان الدنيا ما دامت لاحد من قبلكم هل تدوم لكم وكما
ملكتموها عن من كان قبلكم كذلك يملكها قوم اخرون ويأتوا من بعدكم
فاصلحوا نياتكم فيما بينكم وبين خالقكم فاذا انتم فعلتم ذلك رجوت
لكم النصر على اعدائكم ومن يريد قتالكم وان انتم اتبعتم اهواءكم تبين لكم
هلاككم قال ابو عبد الله محمد بن عمر الواقدي اخبرنا عبد الملك بن محمد عن
ابيه عن حسان بن كعب عن عبد الواحد بن ابي عوف عن موسى بن عمران عن
حميد الطويل يرفع الحديث الى ابي اسحاق الراوي لما هاجر رسول الله صلى
الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وبايعه الاوس والخزرج كتب الكتب الى
سائر ملوك الارض وكتب في الجملة كتابا الى الملك المقوقس بن راعيل ملك
مصر والاسكندرية وكان كاتب الكتاب ابو بكر رضي الله عنه وكانت نسخة
الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
صاحب مصر والاسكندرية اما بعد فان الله تعالى ارسلني رسولا وانزل علي
قرآنا مبينا وامرني بالاعذار والانذار ومقاتلة الكفار حتى يدينوا الناس
بديني ويدخلوا في ملتي وقد دعوتك الى الاقرار بوحدانية الله تعالى فان فعلت
ذلك سعدت وان ابيت شقيت والسلام ثم طوى الكتاب وختمه بخاتمه
واسترجع الخاتم الى اصبعه قال وكان الخاتم من فضة وكان على فصه ثلاث
سطور السطر الاول محمد الثاني رسول الثالث الله فلا ينقش على خاتم احد
من الناس قال حمزة بن عوف قلت لحميد الطويل اكان لخاتم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فص اولا قال لا ادري وسال رجل جابر بن عبد الله الانصاري
فقال في يده اليمنى قال ابن عباس رضي الله عنهما رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يختتم في يمينه يقول اليمنى احق بالزينة من الشمال وقبض الخاتم
في يمينه ثم حوله الى يساره قال وروى انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يختتم في يساره وروى جعفر بن محمد عن ابيه
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن والحسين
رضي الله عنهم اجمعين يتختمون في اليسار قال فلما طبع الكتاب بخاتمه

قال

قال ايها الناس ايكم ينطلق بكتابي هذا الى صاحب مصر واجره على الله قال فوثب اليه حاطب بن ابي بلتعة القرشي وقال انا يا رسول الله قال اعزم بارك الله فيك قال حاطب فاخذت الكتاب وسرت الى منزلي وشددت راحلتي وودعت اهلي وركبت ناقتي واستويت على الطريق الى مصر فلما ابعدت عن المدينة بثلاثة ايام اشرفت على ماء يلي بدرا فاردت ان اورد ناقتي الماء واذا انا برجلين على ناقتين ورجل ثالث على فرس ادهم فلما رايتهم وقفت لهم واذا بالفارس قد اقبل الي وقال لي من اين اقبلت ايها الرجل والى اين تريد فقلت يا هذا لا تسأل عما لا يعنيك فتقع فيما يخزيك انا رجل عابر سبيل وسالك طريق قال الفارس ما اياك اردنا ولا نحوك قصدنا نحن قوم لنا دم وثار عند محمد بن عبد الله وقد جئت انا وهؤلاء الرجلان في طلب ثارنا وقد تحالفنا ان ندخل مدينة يثرب على حين غفلة ونهجم عليه فلعلنا نجد منه غرة فنقتله قال حاطب في نفسه والله لئن امكنني الله منكم لاجعلن جهادي فيكم ولو بالخديعة فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحرب خدعة قال حاطب فبينما انا احاطب الفارس واذا بالراكبين على الناقتين قد اقبلا نحوي وقالا لي بغلظة وفظاظة ويحك لعلك من اصحاب محمد فقلت لهما لقد كاد ان تضل بكما الطريق عن تحقيق واني رجل مثلكما واطلب ايضا ما تطلبان واني قاصد يثرب وقد عولت على صحبتكما لاكون معكما ولكني سمعت في طريقي هذه ممن اثق به ان محمدا قد نفذ رسولا من اصحابه الى صاحب مصر بكتابه وانا متوصل له لعلي اراه واظنه في هذا الوادي مكمنا قال حاطب واشرت الى وادي بالقرب منا يقال له وادي الاراك وكثيرا ما كنت البث فيه فارسلوا معي اثنين منكم واحد كرسنا ناحتى نكشف هذا الوادي فان وجدناه قتلناه قال حاطب فقال لي صاحب الفرس انا اسير معك ثم تقدم امامي وترك صاحبيه وقوفا على مطيتهما ودخلنا الوادي وغبنا فيه فلما ابعدت به عن صاحبيه اقبلت عليه وقلت له ما اسمك قال اسمي سلاب بن عاصم الهمداني فقلت له يا سلاب اعلم انه لا يقدر يدخل يثرب الا من له جنان عظيم وقلب قوي قال وماذا قلت لان بها سادات الارض وابطال العرب مثل عمر وعلي وفلان وفلان ولكن كيف سيفك قال سيف ماضر قلت أرني اياه قال فاستله من غمده وسلمه الي فاخذت السيف من يده وهززته وقلت له هذا سيف ماض يا سلاب ثم قلت ٥ سيوف حداد يا لؤي بن غالب ٥

جدا ولكنني بالسيف ضارب ة قال ما معنى هذا الكلام قلت يا ابن عاصم ان
سيفك هذا من ضرب قوم عاد وما ملكت العرب امضى منه ولكن قد وجب
اكرامك واني اريد اتقرب اليك بحيلة اعلمك اياها تقتل بها عدوك قال بذمة العرب
الا فعلت قال حاطب اذا كنت في مقام الحرب وانت تقاتل خصمك وانت تريد
قتله هز هذا السيف حتى يلمع وتتبسم مضاربه واضرب به عدوك على حرقة
فانه اسرع للقتل والقطع ثم صاح به حاطب وقال يا سلاب انظر ترى ذلك
الراكب المقبل علينا من صدر الوادي واظنه من اعدائنا فاقبل سلاب
يتامل الوادي فضربه حاطب بالسيف على عنقه واذا براسه طار عن بدنه
وسقط عدو الله الى الارض قتيلا قال فاسرعت الى جواده واخذته وربطته
في شجرة لئلا ينهزم فينذر على اصحابه ثم تركته مربوطا واسرعت
الى صاحبيه واذا هما ينظران الي فلما رأياني اقبل احدهما الي وقال ما وراءك
واين سلاب فقلت لهما البشرى باخذ الثار وكشف العار واعلما انا وجدنا
رجلين من اصحاب محمد وهما نائمين وقد وجهني صاحبكما ليسير احدكما معي
ونتمكن منهما ويبقى احدكما ههنا فان هذا الوادي لا يخلو من اصحاب محمد
فقالا نعم الرأي قال فسار معي الثاني فاسرعت به وملت عن طريق
المقتول واخذت به في جانب الوادي ثم اقبلت عليه وقلت له ما اسمك
فقال عبد اللات فقلت له كن رجلا واياك والخوف فاذا هجمنا على الرجلين
ايقظ خاطرك ثم نظرت يمينا وشمالا فقال ما لك قلت اني ارى غبرة ولا اشك
ان تحتها قوما ممن قد صبا الى دين محمد فجعل يتامل كالواله الحيران فعاجلته
بضربة على حين غفلة فالقيت رأسه عن بدنه وسقط الى الارض قتيلا
وعدت الى الثالث فلما رآني وحدي تيقن بالشر واقبل الي فقارعني وقارعته
وصادمني وصادمته الا ان الله تعالى اعانني عليه ونصرني فقتلته واخذ
الراحلتين والفرس وتركت الجميع عند رجل من عبد شمس وكان صديقا
لي ورفيقا من زمن الجاهلية وركبت بعيري وتوجهت اريد مصر ولم ازل
اسير ليلا ونهارا حتى اتيتها فلما رآني القبط اقبلوا الي وقالوا لي من اين
جئت فقلت انا رسول الى صاحبكم قالوا ممن قلت من عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال فلما سمعوا ذلك منى احاطوا علي وداروا بي من كل
مكان وساروا بي حتى اتوا بي الى قصر الشمع ووقفوا على الباب فاستاذنوا
على المقوقس فامر باحضاري فاحضرت بين يديه فلما وقفت بين يديه رايته

جالسا على سرير ذهبية قد رصعت بالجواهر في اركانها وفصوص الياقوت باللصح
في حيطانها وحجاب بين يديه قياما فلما وقفت بين يديه اومئت اليه بتحية الاسلام
فقال حاجب الملك يا اخا العرب اين كتاب صاحبك قال حاطب فسلمت
الكتاب الى الملك من يدي الى يده فاخذه الملك مني بقبول وقبّله ووضعه على
عينيه وقال مرحبا بكتاب النبي العربي ثم سلمه الى وزيره الباكلين وقال له اقرأه
علي فقرأه الوزير على الملك الى ان اتى الى آخره فقال الملك لخادمه هات السفط
الذي سلمته اليك فاتى به الخادم ووضعه بين يديه ففتحه الملك واستخرج منه
نمطا وفتحه فاذا في النمط صفة آدم والانبياء عليهم الصلاة والسلام وفي
آخر الكل صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الملك لوزيره قل لهذا العربي
يصف لنا صفة صاحبه حتى كأنني اراه فقال الوزير لحاطب يا اخا العرب الملك
يقول لك صف صاحبك فقال حاطب ومن يقدر ان يصف عضوا من اعضاء
صاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الوزير لا بد ان تجيب سؤاله قال
حاطب فقمت قائما على قدمي وقلت ان صاحبي محمدا صلى الله عليه وسلم وسيم
قسيم معتدل القامة بعيد الهامة بين كتفيه شامة وهي له علامة كالقمر اذا بزغ
صاحب خشوع وديانة وعفة وصيانة صادق اللهجة واضح البهجة ادعج العينين
واضح الجبين سهل الخدين رقيق الشفتين براق الثنايا بعينيه دعج وبحاجبيه
زجج وباسنانه فلج وانف غير اعوج وبطن كطي الثوب المدبج ولسان فصيح
ونسب صريح وخلق مليح قال فلما سمع الملك وصف حاطب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم قال صدقت والله يا عربي فيما وصفته هكذا صفته عندنا قال
فبينما حاطب يخاطب الملك اذ نصبت الموائد واحضر الطعام قال حاطب
فامرني الملك ان اتقدم فامتنعت منه فتبسم وقال يا اخا العرب قد علمت
ما احل لكم وما حرم عليكم واني امرت ان يقدم الي بين يديك لحم الطير فقلت
ايها الملك اني لا آكل في هذه الصحاف الذهب والفضة فان الله تعالى وعدنا
ان ناكل فيها في الجنة قال حاطب فعند ذلك امر الملك ان يجعلوا في صحاف
الفخار قال حاطب فعند ذلك تقدمت واكلت فقال لي الملك يا اخا
العرب اي طعام يحب صاحبك فقلت له الدبا يعني القرع فكنا اذا حضرنا
طعاما وبين يدينا منه شيء قربناه منه وانه عليه الصلاة والسلام دعي
الى منزل من منازل قومه فقدم اليه قصعة فيها الثريد وعليها الدبا فجعل
يتبع الدبا فما زلت احبه لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم له قال الملك

يا أخا العرب فى أى شئ يشرب الماء قلت فى قعب من الخشب قال أيحب الهدية قلت نعم
وقد قال صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى كراع لأجبت ولو أهدى الى ذراع لقبلت
قال الملك ايقبل الصدقة قلت لا بل يقبل الهدية وسمعته يقول لو سلم الناس لتهادوا
من غير جوع ولقد رأيته اذا اوتى بالهدية لربما أكل منها حتى يأكل اصحابه منها قال
المقوقس ايكتحل قلت نعم يكتحل فى عينه اليمنى ثلاثا وفى اليسرى اثنين وقال
صلى الله عليه وسلم من شاء اكتحل اكثر من ذلك او اقل وكان كحله الاثمد
وينظر فى المرآة ويرجل شعره ولا يفارق المرآة والمكحلة والمشط والسواك
فى سفره ولا فى حضره ولقد رأيته يتجمل لأصحابه فضلا عن تجمله لأهله ولقد
قالت له ذات يوم عائشة رضى الله تعالى عنها وقد نظر فى ركوة فيها ماء فجعل
يسوى شعره قالت عائشة بأبى وأمى يا رسول الله تنظر فى الركوة وتسوى شعرك
وانت رسول الله وخير خلقه فقال يا عائشة ان الله تعالى يحب لعبده اذا خرج
لاخوانه ان يتجمل لهم فقال المقوقس فاذا ركب فى جيش ما الذى يحمل على رأسه
فقلت راية سوداء ولواء أبيض مكتوب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله قال المقوقس
أله كرسى يجلس عليه او قبة قال حاطب نعم له كرسى قوائمه من حديد ورأيت
له قبة من الأدم يجلس تحتها نحو من اربعين رجلا قال الملك فالذى يحب من
الخيل قلت المحجل الأشقر فى السبق وقد تركت عنده فرسا يقال له المرعرع
قال فلما سمع الملك المقوقس قول حاطب انتخب من خيله فرسا من خيار خيله
الموصوفة واسرجه والجمه وعده للنبى صلى الله عليه وسلم وهو فرسه المأمون
وحمارا يقال له عفير وبغلة يقال لها دلدل وجارية سوداء يقال لها بريرة
وجارية بيضاء من اجمل بنات القبط يقال لها مارية وغلاما اسمه محبوب
ومسكا وعودا وطيبا وندا وعمائم قباطى وأمر وزيره اذ يكتب الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم كتابا يقول فيه باسمك اللهم من المقوقس الى محمد أما بعد
فقد بلغنى كتابك وقرأته وفهمت ما فيه وانت تقول ان الله تعالى ارسلك
رسولا وفضلك تفضيلا وانزل عليك قرآنا مبينا وقد كشفنا يا محمد فى علمنا
عن خبرك فوجدناك اقرب داع الى الله تعالى وأصدق من تكلم بالصدق
ولولا انى ملكت ملكا عظيما لكنت أول من سار اليك لعلمى انك خاتم
الانبياء وسيد المرسلين وامام المتقين والسلام عليك ورحمة الله
وبركاته الى يوم الدين قال حاطب ثم انه سلم الكتاب الى والهدية
وقبل بين عينى وقال بالله عليك يا حاطب هكذا اقبل بين عينى محمد

ثم امر جماعة من أصحابه ان يسيروا معى قال حاطب وسرت ليلا ونهارا والقبط معى حتى دخلت بلاد العرب ووجدنا قافلة من الشام تريد المدينة فرددت أصحاب الملك المقوقس وسرت مع القافلة حتى وصلت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبلت الى المسجد وانخت ناقتى وعقلتها وتركت الهدية على باب المسجد ودخلت المسجد واقبلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلمت عليه وعلى من بين يديه من الصحابة ووقفت على قدمى وابتدأت أقول هذا الشعر

انعم صباحا يا وسيلة أمة	ترجو النجاة غداة يوم الموقف
انى مضيت الى الذى ارسلتنى	اطوى المهامه كالجواد المدنف
حتى رأيت بمصر صاحب ملكها	فبدا الى بمثل قول المنصف
فقرأ كتابك حين فك ختامه	فاظل يرعد كاهتزاز المرهف
قال البطارقة الذين تجمعوا	ماذا يريعك من كتاب مشرف
قال اسكتوا يا ويلكم وتيقنوا	هذا كتاب نبى لامن مصحف
قالوا وهمت فقال لست بواهم	لكن قرأت بيان خط الأحرف
فى كل سطر من كتاب محمد	خط يلوح لناظر متوقف
هذا الكتاب كتابه لك جامعا	يا خير مبعوث بفضلك تكتفى

قال حاطب ثم سلمت الكتاب كتاب المقوقس الى النبى صلى الله عليه وسلم فسلمه النبى صلى الله عليه وسلم الى الامام على بن ابى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه وقال يا على اقرأه علينا قال فلما قرأه الامام على على النبى صلى الله عليه وسلم قال بارك الله القبط فى دنياهم فقد عرفوا الصواب واوضحوا الخطاب ثم أمر بالهدية فأحضرت بين يديه فقال صلى الله عليه وسلم كل ذى روح خاصة لى قال فاختص النبى صلى الله عليه وسلم بمارية القبطية وجعل مهرها عتق رقبتها وولدت ولدا اسماه ابراهيم عاش سنتين او اقل من ذلك ولما مات كسفت الشمس فقال المسلمون يا رسول الله انما كسفت الشمس لموت ولدك ابراهيم فقال صلى الله عليه وسلم لا تكسف الشمس والقمر لموت أحد من الناس لانهما آية من آيات الله تعالى فاذا كسفتا فارجعوا الى الصلاة واخذ الجارية السودا والغلام والفرس والبغلة والحمار ثم قسم باقى الهدية على اصحابه بالسوية قال الواقدى رحمه الله تعالى ورجعنا الى الحديث قال حدثنا احمد بن عبيد بن ناصح قال اخبرنا ابو عبد الله بن يزيد المهدلى قال

ابن اسحاق الاموي وهو المعتمد عليه في فتوح ارض مصر وارض ربيعة الفرس قال
عمرو بن حفص ولم ينفرد بهذه الرواية سوى محمد بن اسحاق لانه كان اصحاب السير
قد اشتغلوا بوقايع العراق وفتوحه وما تجدد من سعد بن ابي وقاص وبين كسرى
انوشروان وتركوا فتوح الشام وارض مصر فيما بعد وكان قد ادرج عليهم شيئا
يسيرا من الوقايع فتركوه لاجل الزيادة والنقصان فيه وانما تفرد به ابن اسحاق
لانه اخذه عن مشايخ ثقات وثق بهم من آل مخزوم اجتمع بهم في الرملة بعد
الفتوح احدهم نوفل بن مساحق المخزومي وكان ابن عم خالد بن الوليد وكان من
المعمرين وكان ممن شهد تبوك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد قبل
ذلك الحديبية وشهد يوم اليمامة ومسيلمة وكان مع عمرو بن العاص بارض مصر
وكان قد حضر جميع فتوح الشام والثاني فهر بن عاصم بن عمرو بن سهيل بن عمرو
المخزومي وغيرهما من الثقات ممن شهد فتوح مصر والوقايع كلها قالوا جميعا
ان عمرو بن العاص لما انفصل من ساحل الشام سار يريد ارض مصر فلما كان
بموضع يقال له رفح انفصل يوقنا من العرب بجيشه وقال لعمرو بن العاص انت
تريد ان تدخل مصر بجيشك مهاجمة لعلك ان تدهمها وتملكها على حين غفلة
وانا اريد ان انفرد منكم واتقدم امامكم لعلي انال منها ما اريد واملكها لكم
بالحيلة والخديعة قال عمرو سر وفقك الله تعالى وانا [illegible] ففعل ذلك وكان
قال وانخلس يوقنا بجيشه منهم ليلا وسار من رفح ولم يتعرض للعريش
ولا الوردة ولا البلقارة وكلها حصون عامرة وقد سكنها قوم من العرب
المتنصرة وهم يؤدون المال للملك المقوقس بن راعيل وسنذكر فتوحها
فيما بعد ان شاء الله تعالى قال صاحب الحديث ولم يزل يوقنا يجد السير ليلا
ونهارا حتى اشرف على القرمة وكان عليها والي من قبل الملك المقوقس اسمه
الدنيدان وكانت القرمة على جانب بحيرة تنيس مما يلي الشرق فلما اقبل عليه يوقنا
بجيشه رأى عليه خياما منصوبة وفسطاطا مضروبة فلما اشرف عليها يوقنا
بجيشه رفع الصليب فركب واليها ومن هنالك من جند الملك قال صاحب
الحديث فكانت اخبار الشام ترد اليهم في كل يوم بما فعل اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلما ملكوا الساحل وقيسارية وهرب الملك قسطنطين منها
بلغهم ايضا الخبر فاغتموا لذلك غما شديدا وكان السبب في اهتمامهم
ان ابن الملك قسطنطين بن هرقل كان قد تزوج بارمانوسة ابنة الملك
المقوقس صاحب مصر وكان ابوها قد جهزها باموالها وجواريها الى بلبيس

على

على انها تسير الى زوجها قسطنطين بن هرقل فلما وصلت الى فاقوس اتاها الخبر بان العرب نزلت الساحل وقد تملكت مدنه وحصونه وقد ملكت ايضا قيسارية وان ملكها قسطنطين بن هرقل قد ركب المراكب بجواريه وحريمه وخزائنه وسار في البحر يريد القسطنطينية فلما بلغها الخبر بذلك دعت بالبيس ووجهت حاجبها ثميلاطوس في الفي فارس الى الفرمة وامرته بحفظ ذلك المكان خوفا من العرب قال صاحب الحديث رحمة الله تعالى عليه حدثنا موسى بن محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي قال حدثني اسامة بن زيد بن اسلم قال ابن اسحاق حدثني رجل من القبط كان من جند المقوقس صاحب مصر المقيت به فسالته عن امره وكان رجلا قد دخل في دين الاسلام فقلت له كيف كان امركم لما وصلكم الخبر بان العرب قد ملكت الشام وبلاده وحصونه وقتلوا ابطالها وبطارقتها وهزموا ملوكها قال لي فلما بلغ الخبر الى الملك المقوقس بذلك بعث رسله الى اطراف بلاده مما يلي الشام ان لا يتركوا احدا من الروم ولا غيرهم من اهل بلاد الشام ان يسيروا ارض مصر ولا يدخلوا بلاد الملك كل ذلك خوفا ان يحدثوا بما صنع العرب بجنود الشام وما قتلوا فيدخل خوف العرب في قلوب القبط فيوهنوا لذلك قال ولما توجه يوقنا الى ارض مصر واقبل الى العريش اقبل عليه اهله وقالوا ايها البطريق اخبرنا بامرك وما سبب قدومك فقال انا قوم قد اقبلنا نريد مصر ونكون مع ملكها وتحت ركابه ونعيش في نعمته قالوا فاين الملك قسطنطين بن هرقل صاحب قيسارية قال يوقنا وما الذي تريدون وتسالونكم عنه قالوا فان الذي يشغله عن زوجته ارمانوسة بنت الملك المقوقس فان الملك ابوها قد جهزها باموالها وعددها وجواريها ليبعثها اليه قال ليس لي علم بذلك قال صاحب الحديث فلما سمع يوقنا بذلك انفتح قلبه وقوى عزمه على ما سمع وتزايد حيلة في قلبه وصار يوقنا تفتحت له ابواب الحيل والخداع وجعل كلما مر بحصن من الحصون في طريقه وسالوه ايضا عن امره وسبب قدومه فيخبرهم بامركم هذا وبما يقتضي حاله وكان يوقنا رجلا عاقلا عارفا بصيرا بامور الحروب ومواقعها صاحب حيل وخداع فلما قطع تلك الحصون ووصل الى الفرمة رأى خياما منصوبة وفساطيط مضروبة فوقع الصايح بقدومه وركب اهل الفرمة والحاجب الكبير وكل من كان هنالك من الجيش واقبلوا الى يوقنا وسالوه عن امره فقال يوقنا للحاجب ايها الصاحب اعلم ان الملك قسطنطين ارسلني حتى استلم الملكة ارمانوسة واسيرها في المراكب والحق بها الى القسطنطينية قال فلما سمع الحاجب كلامه ونظر الى حشمته وعظم هيبته صدقه ودخلت عليه

حيلة وقال ان الملكة ارمانوسة قد جهزها ابوها باموالها وخدمها وجواريها فما
منعها من المسير الا الخوف من العرب وبلغها ايضا الخبر برحيل زوجها من قيسارية
الى القسطنطينية فهل لك علم بسيره قال يوقنا انا سرت من عنده وهو على نية
الركوب والمسير وقد امرني ان اخذ زوجته واسير بها في البحر الى القسطنطينية
قال فلما سمع الحاجب كلام يوقنا قال له انزل ها هنا بعسكرك حتى اصل الى الملكة
ارمانوسة واخبرها ثم اوصى به الوالي واكد الوصية وسار حتى وصل الى الملكة
ودخل عليها وحدثها بحديث يوقنا وما تكلم به فقالت علي به فركب الحاجب شيلاطوس
واسرع الى يوقنا وامره بالركوب والمسير الى الملكة فركب يوقنا وركب جيشه واتوا
الى عسكر ارمانوسة واذا به عسكر كبير يزيد على عشرة الف فارس فترجل يوقنا واصحابه
ووقفوا على باب سرادقها حتى استاذنوا عليها فاذنت له بالدخول فلما وقف بين يديها
سجد لها فامرت له بكرسي من الحديد فوضع له وامرته بالجلوس فجلس ووقفت الحجاب
بين يديها والخدم والمماليك عن يمينها وشمالها فقالت الملكة ارمانوسة من غير
ترجمان كان بينهما وكانت لغة القبط لا تشبه لغة الروم ولكن الملوك كانوا يحفظون
اكثر اللغات ليستعملوها في وقت حاجتهم اليها فقالت له بلغة الروم كم لك
منذ فارقت الملك قال منذ شهر قالت أكان قد رحل في مراكبه أم لا قال يوقنا
فارقته حين بعثني الى خدمة الملكة فسرت وهو على نية الركوب في البحر والرحيل
فلما بلغت الى غزة بلغني الخبر انه ركب في المراكب وسار في البحر يريد القسطنطينية
وانه حدثني في السر فيما بيني وبينه انه لا طاقة لي بقتال العرب وقال ان ابي ولى
هاربا من انطاكية من خوفه من العرب واعلم يا يوقنا ان ابي قد المهم بجنوده
واستنصر عليهم بكل من عبد الصليب من اهل بلاد النصرانية من جميع الاجناس
ونفذ ماهان الارماني في ستمائة الف فارس من غير العرب المتنصرة الى اليرموك
فكسروا جيوشه وقتلوا بطارقته وقتلوا ماهان الارماني وانا قد عزمت ان
اخذ حريمي وخزائني واموالي والحق بابي واكون في القسطنطينية آمن على
نفسي وحريمي واموالي ثم وجهني اليك حتى اخذك واسير بك في المراكب ونلحق به
قال فلما سمعت ارمانوسة كلام يوقنا وما تكلم به اطرقت الى الارض ثم رفعت
رأسها وقالت له اني لا اقدر اصنع شيأ الا بامر الملك وسوف اكاتبه واخبره
بهذا الامر ثم امرته بالانصراف فسجد لها وخرج من بين يديها فوجد غلمانه قد ضربوا
خيامهم وسرادق يوقنا فنزل يوقنا في سرادقه واقبلت اليه الاقامات والضيافات
من الملكة ارمانوسة والعلوفات لخيولهم قال ابن اسحاق رحمه الله تعالى

ولقد

ولقد بلغني انه لما اظلم الليل من يوم هجم وصلت جواسيس الملك اليها وحدثوها
بفتح قيسارية وما اين الساحل ومسير عمرو بن العاص الى مصر وبحديث يوقنا
وانفصاله عن عمرو وما قد عزم عليه من الحيلة وحذروها من يوقنا وقالوا لها انه
صاحب حلب وقد دخل في العرب وهو الذي فتح طرابلس بحيلة فلما سمعت ارملوسة
ذلك من جواسيسها دخل الرعب في قلبها وعلمت ان الذى قالوه حقا وانه يريد
ان يمكر بها فاستدعت بحاجبها وقالت له جميع ما حدثوها به من امر يوقنا وقالت
امض الى عسكرنا وايقظهم وامرهم بلبس السلاح وليكونوا مستيقظين فقد
جرى من الأمر ما هو كذا ثم احضرت مماليكها وغلمانها وقالت اذا جاء هذا الرجل
فاقبضوا عليه وعلى من معه فاذا ملكتموهم ملكنا غيرهم من اصحابهم فلما رتبت هذا
الامر ارسلت الى الحاجب وقالت له امض الى هذا الرجل وادع الينا فمضى الحاجب حتى
دخل على عسكر يوقنا فلاقته الحراس وقالوا من انت فقال انا قاصد من الملكة
الى بطريقكم فاعلموا يوقنا بذلك فاحضروه بين يديه فسلم له وقال ايها البطريق
العظيم ان الملكة تستدعيك اليها لتوصيك بوصية لا يطلع عليها سواك فقال
يوقنا سمعا وطاعة ارجع انت فاني راكب اليها مع اعز اصحابي فمضى الحاجب ثم
ان يوقنا جمع اصحابه وقال لهم اعلموا ان هذه الملكة ارسلت تستدعينا اليها في هذا
الوقت ولا شك انها عرفت بخبرنا من بعض جواسيسها وان مضينا اليها
قبضوا علينا وقتلونا لا محالة فموتوا كراما ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ونحن قد
خرجنا لنصرة دين الله وما عسى ان نرجوا من هذه الدنيا الغرورة وقد رأيتم ما كنتم
فيه من الملك فقد زال فاعملوا للدار البقاء وجاهدوا في الله وجاهدوا في سبيل الله
لعلكم ترضون ربكم سبحانه وتعالى قال فاخذوا على انفسهم ولبسوا اسلحتهم
واستندوا الى خيامهم وتوكلوا على ربهم ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ
امره قد جعل الله لكل شئ قدرا قال الواقدى رحمة الله تعالى عليه هذا ما جرى على يوقنا
واما الملكة فانها اقامت تنتظر يوقنا واصحابه فاستبطأت قدومهم فارسلت
اليهم رسولا فلما وصل الرسول ليوقنا قال له ارجع الى صاحبتك وقل لها ما عادة
الملوك ان ترسل في انصاف الليالي الا لمن يريدون قتله وقد كنت عندها اخر النهار والصباح
قريب فالذي تريدي مني في هذا الوقت وليس في مطمع فرجع الرسول للملكة
وحدثها بما سمع من يوقنا قال الواقدى فتحققت صدق القول فركبت من ساعتها
وركبت عسكرها وداربت بخيام يوقنا ولم يحدث حديثا حتى ولى الظلام واقبل
النهار فعند ذلك اقبل حاجب الملكة عليهم وقال لهم يا ويلكم تركتم دين آبائكم

ونحن تبرا من المسيح وامه وقد جئتم تقولون الينا الا ان المسيح قد غضب عليكم لانه
وسلطنا عليكم فقال يوقنا المسيح من عبيد الله لا يقدر ان يفعل شيئا الا باذن الله تعالى لانه
عبد الله مثلنا وقد انطقه الله تعالى بذلك وهو في المهد صبيا قال اني عبد الله آتاني
الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت
حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت
ويوم ابعث حيا والذي يؤمر بالصلاة والزكاة ويموت ويبعث فليس باله وانما هو
عبد مكلف مثلي واسوتنا انما الله اله واحد ولقد اضلكم بولص وردكم عن
الطريق الحق بقوله ثالث الله وعلى المسيح وكنا كامثالكم نسجد للصلبان ونعظم القربان
ونتخذ الصور اربابا من دون الله فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه
دخلنا في دينهم وتبعنا شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فهدانا الله تعالى من العمى
وشرح صدورنا وان دين الاسلام هو الدين الواضح الذي كان عليه الانبياء
من قبلنا وكنا نقول مثل قولكم ان المسيح ابن الله وان ابراهيم واسماعيل واسحاق
كانوا نصارى فكذبنا الله سبحانه وتعالى بقوله ما كان ابراهيم يهوديا
ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وقال الله سبحانه وتعالى
ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين وها
نحن جئنا نجاهدكم حتى تقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله والا القتال بيننا
وبينكم قال الواقدي فلما سمع الحاجب كلام يوقنا قال ان هؤلاء القوم قد
طمعوا في دياركم وبلادكم واموالكم وحريمكم قال الواقدي رحمه الله تعالى فحملوا
على يوقنا واصحابه وعلى السيف بقية يومهم الى الليل ثم تولوا بدونهم يحفظونهم فلما
كان من الغد ركبوا وقصدوا تجتمع بهم الابطال من كل جانب ومكان ودارت بهم الخيل
والرجال وبلي يوقنا واصحابه بما لا طاقة لهم به وقتل جماعة من المسلمين وفشت
فيهم الجراحات وصبروا لامر الله عز وجل وقالوا اصدقوا العزم وموتوا تحت ظلال
السيوف فان الجنة تحتها وقد لقينا ما نطلبه من رضاء ربنا سبحانه وتعالى واشتدوا
الى القتال عدوكم فان الله يثيبكم على فعلكم قال محمد بن اسحاق الاموي هذا ما جرى
لهؤلاء واما الملكة ارمانوسة فانها ارسلت كتابا الى ابيها المقوقس تخبره بقضية
يوقنا ومسير عمرو بن العاص بعساكره الى مصر وانها مهولة على حربهم وسألته ان
يرسل لها بعسكر ونجدة وتقول انا منتظرون الجواب والنجدة وبعثت بالكتاب
وقالت للرسول اسرع وعد بالجواب سريعا قال وسار الرسول بالكتاب فلما وصل
الى الملك المقوقس بعد ايام تسعة وناوله الكتاب ففضه وقرأه فلما علم ما فيه دعا

بارباب دولته وقال لهم قد تم من الامر كذا وكذا فما الذى تشيرون به قالوا ايها
الملك انجدها وانصرها وانفذ لها جيشا وبعد ذلك ابعث كتبك الى اطراف البلاد
مع رسلك واطلب منهم النجدة فهم يسيروا الجيوش منهم ملك البجاوة وملك البربر
وايضا الى نايبك بالاسكندرية يبعث لك بمن عنده من العساكر وكذلك الى نايبك
بالصعيد الاعلا ينجدك ايضا فاذا اجتمعت اليك هذه العساكر التقى بهم العرب
ولا تحمل امرهم فيتجرؤن عليك ويطمعون فى ملكك كما تجرؤا على غيرك وملكوا
بلادهم وهزموا ملوكها قال المقوقس يا اهل دين النصرانية وبنى ماء المعمودية
اعلموا ان الملك يحتاج الى سياسة وكل من ملك عقله ملك رايه ومن ملك رايه امن
من حوادث الدهر وليس الغلبة بالكثرة وانما هى بحسن التدبير والله لقد كان هرقل
ملك الروم اكثر منى جندا واوسع بلادا واعظم عدة وجمع من بلاد الروم الى
اليونان الى بلاد جنوده واقليم بلاد الاندلس واستنصر بنا وبغيرنا فما اغنى عنه
جمعه شيأ ولا قدر ان يرد القضا والقدر واعلموا ان العقل هو اساس الادمى
المخاطب المكلف المفضل به على سائر ما خلق الله تعالى على وجه الارض من المخلوق
فمن ملك عقله ملك امره ومن لم ينل من امره شيأ كان بجهله ارضى واعلموا انه
لاينال احد الحكمة الا بالعقل ولقد قال الحكيم ماسيوس الحكمة مرقاها
جليل وطالبها نبيل وتاركها ذليل لانها عز الارواح وقوت القلوب واعلموا انى
لست اتكلم سهوا ولكن على ان اقول الحق واتكلم بالصدق وانتم تعلمون ان نبى
هؤلاء القوم بعث الينا يدعونا الى دينه فاستدللت على صدق قوله بكتابه وما
ظهر للناس من معجزاته وقد سمعتم انه من حين بعث لا يسمع احد بذكره الا خاف
منه واجاب دعوته ولقد بلغنا من بعض معجزاته ان القمر انشق له واجاب الى
دعوته وسلم عليه ولقد بلغنا ايضا من معجزاته ان الذراع المسموم كلمه وقال يارسول
الله لا تاكلنى فانى مسموم وكلمه الضب والحجر وسجد له الشجر وشهد له بانه رسول
الله وعرج به الى السما وركب اوج الما واعلموا انه اول من عاداه قومه وسادة
عشيرته وانكروا قوله وما جاء به وهم هؤلاء الذين فتحوا الشام فلما علموا انه
جاء بالحق وكلامه صدق فامنوا به ونصروه وجاهدوا بين يديه وها هم قد
اخرجوا الروم من ارضهم وملكوا بلادهم وقتلوا عبيدهم وسبوا نساءهم وقد اقبلوا
الينا ويريدوا ان يفعلوا بنا كما فعلوا بغيرنا وانتم الان ما انكرتم من امر هؤلاء القوم
الا انهم يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون حدود الله التى امرهم
بها وما فى كتابهم من شئ الا وفى الانجيل مثله ولقد اضلكم بولص واغواكم

بقوله غير الحق وغربكم وبدل شرعكم باسم لا يليق وحاد بكم عن الطريق واحل لكم
جميع ما حرم الله عليكم في كتابكم الذي انزله على نبيكم وهذا عين المحال وداعية
العمى ان تتبعوا ما قال بولص وتدعوا ما قال الله تعالى في كتابه العزيز الذي
انزله على نبيكم وكيف ينبغي لروح الله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام
ان يامركم بغير ما ارسله الله اليكم ويقول لكم بولص قد قال لي المسيح في النوم
انه قد احل لكم لحم الخنزير ويامركم بارتكاب المعاصي ما ظهر منها وما بطن
فاطعتم امره وصدقتم قوله وحاشا المسيح ان يفعل هذا او يتكلم به وما كاد
احد من الانبياء الا على ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين
والحكماء الاولون ما منهم الا من تكلم بوحدانية الله تعالى وقد قال الحكيم
دمويا الذي صنع دير ابراهيم وجعلها مثلا للامم الآتية في الاحيان الى آخر
الزمان وصور صور الحكماء وصور ايضا صورته وكتب على راسها بقلم اليونان
اربعة اسطر السطر الاول من خاف الوعيد سلا عما يريد والسطر الثاني
من خاف مما بين يديه حاز ما ليس في يديه والسطر الثالث ان كنت تطلب الجزيل
فلا تنم ولا تقيل والسطر الرابع بادر قبل نزول ما تحاذر فمن كان هذا كلامهم
فكيف صنع سواهم وهذه فريضة مذهب المهديين **قال** فاطرق القوم
رؤسهم الى الارض غيظا على الملك المقوقس لاجل ما تكلم بهذا الكلام
قال صاحب الحديث رحمه الله تعالى وما تكلم الملك المقوقس بهذا الكلام
حتى استوثق من مماليكه وحجابه واوقف على راسه الغلام بالسيوف
لانه قد بلغه بما قد جرى لهرقل ملك الروم حين وعظ بطارقته ونصحهم
فوثبوا اليه وارادوا قتله فلاجل هذا استوثق المقوقس من اصحابه حتى
تكلم بهذا الكلام **ثم** اقبل الملك على وزيره وقال له اكتب الى ابنتي كتابا
وامرها فيه ان تتلطف بالقوم وتعطيهم الامان وتنفذهم الينا
حتى نطيب قلوبهم ونخلع عليهم ويكونوا معنا يقاتلوا اعدانا ومن يقصد
بلادنا وما كان قصد الملك المقوقس بذلك الا ان يخلص بوقنا واصحابه
من يد القبط اذ علم انهم على الحق **قال** فكتب الوزير كتابا الى الملكة
ارمانوسة بنت الملك المقوقس بذلك وبعث به وقال للرسول اسرع
قال الواقدي رحمه الله تعالى فلما وصل الكتاب الى ابنة الملك امرت
عسكرها ان يكفوا عن القتال وارسلت الكتاب الى بوقنا فقراه وقال
للرسول ارجع حتى يشاور بعضنا بعضا فرجع الرسول الى الملكة **قال** بوقنا

لاصحابه الآن قد كشف الله عنا ما كنا فيه وقد كشف الله حجاب الغفلة عن قلب هذا الرجل يعني الملك المقوقس وظهر له ما ظهر لنا من الحق فما الذي ترون من الراي فقالوا والله لا نسمع الا من قولك فقال دعوني ادبر انا الليلة ما يريد الله به قالوا افعل ما ترى **قال** محمد بن اسحاق الاموي رضي الله تعالى عنه فلما كان من الليل قام يوقنا يصلي وقدام اصحابه تصلي على ظهور خيولهم مخافة الغدر فبينما هو يصلي واذا بشخص قد اقبل عليه فارتاع يوقنا منه فتامله واذا هو عمرو بن امية الضمري ساعي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما عرفه فرح به فرحا شديدا وقام وسلم عليه وقال له يا عمرو من اين اتيت قال من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الى عمرو بن العاص جئته احثه على المسير الى مصر وقد لقيته بالقرب من ها هنا وقد ارسلني اليك فقال له يوقنا يا عمرو ارجع اليه وقل له يعجل بقدومه الينا ليكشف خبر هؤلاء القوم ثم حدثه يوقنا بما هو فيه فرجع عمرو ومسرعا الى عمرو بن العاص كهبوب الريح فلما وصل اليه اخبره بما قال له يوقنا فترك الاثقال والغنائم واستخلف عامر العامري على ذلك وسار الى ان وصل الى يوقنا ودارو بالقبط فما كان الا القليل حتى قتلوا القوم واسروهم واسروا الملكة ارمانوسة بنت الملك المقوقس ومن معها وقد غنموا ونزلوا بالمسلمين وقد غنموا غنيمة عظيمة ولحق عامر بن ربيعة العامري لعمرو بن العاص بالضعف والغنائم والاموال **قال** صاحب الحديث رحمه الله تعالى فلما ملك المسلمون الملكة ارمانوسة واموالها ورجالها وجواريها ونزلوا المسلمون واستقروا انجيا مهما امر عمرو بن العاص بالاكابر من الصحابة ان يجتمعوا اليه فلما جلسوا بين يديه اقبل عليهم وقال يا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلموا ان الله عز وجل قال في كتابه العزيز هل جزاء الاحسان الا الاحسان **قال** وكان الاكابر الذين اجتمعوا يزيد بن ابي سفيان وهاشم بن سعيد الطائي والقعقاع بن عمرو التميمي وخالد ابن سعيد السهمي وعبد الله بن جعفر الطيار فقالوا ما تريد بقولك **قال** اعلموا ان هذا الملك قد افرحه الله تعالى وقد كاتب نبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث له هدية ونحن احق من كافى عن نبيه وقد رايت ان انفذ الى المقوقس ابنته وجميع ما اخذنا من اموالها وجواريها ونحن قوم نتبع سنة نبينا صلى الله عليه وسلم اذ يقول ارحموا عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر

قال فاستصوبوا رأيه وقالوا نعم ما امرت به فبعث بها عمرو الى ابيها مكرمة
مع جميع ما كان لها مع قيس بن سعيد قال صاحب الحديث رحمه الله
تعالى هذا ما كان من امر امير المؤمنين عمرو بن العاص رضي الله عنه واما
ما كان من القبط فانهم لما ولوا منهزمين ودخلوا مصر ودخل على الملك
المقوقس اكابر قومه واخبروه بما تم لعسكره ومن قتل منهم ومن اسر
منهم واسر ابنته ضاق صدره لاجل ذلك وبقي متفكرا في امره وفيما يصنع
وليس له نية في قتال العرب فبينما هو كذلك اذ جاءه البشير بقدوم ابنته
واموالها وجواريها ورجالها وخدمها ففرح بذلك فرحا شديدا وزال عنه
بعض ما كان يجده من الغم والهم وعلم ان القوم منصورون فلما دخلت
ارمانوسة قصر ابيها امر باحضار قيس بن سعيد فلما حضر بين يديه رفع محله
واكرمه واكابر دولته والوزراء والحجاب عنده قد اتوا ليهنئوه بقدوم ابنته
وسلامتها فعند ذلك اقبل الملك المقوقس على قيس بن سعيد وساله
عن اشيا لعل ان يسمعوا ارباب دولته فتلين قلوبهم وهم ينظرون الى قيس
ابن سعيد ويتعجبون من زيه فقال الملك المقوقس يا اخا العرب ما اسمك قال
اسمي قيس قال انت من اصحاب محمد وممن جاهد بين يديه قال نعم قال
اخبرني عن صاحبك محمد صلى الله عليه وسلم ما كان يركب من الخيل قال الاشقر
الاغر المحجل في الشق الايسر وكان الفرس اسمه المرتجل فقال يا اخا العرب
قد بلغنا انه ما كان يركب الا الحمار والابل واراد بذلك الكسر على قيس لان الحمار
عندهم في منزلة الوضيع فقال قيس ان الله سبحانه وتعالى كرم الابل
وشرفها اذ قال كوني فكانت واخرج الناقة من صخرة وخص بها العرب دون
غيرهم وكان صلى الله عليه وسلم يركبها لكون ان الله تعالى جعلها مباركة
تقنع بما تجده وتصبر عن الما وقد ذكرها ربنا في كتابه العزيز فقال تعالى
وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق وقال الله تعالى والبدن جعلناها
لكم من شعائر الله واول ما غزا من غزواته صلى الله عليه وسلم غزاة بدر
فكان معه مائة ناقة من الابل وكان معه فرسان يركب احدهما المقداد
ابن الاسود الكندي والآخر مصعب بن عمير التميمي وانا لقينا قريشا
في عددها وعديدها فهزمهم الله تعالى ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال المقوقس اما ركب الحمار قال ايها الملك كان يركب الحمار الذي اهدي
له ويردف وراءه صاحبا له اسمه معاذ بن جبل وكان على الحمار اكاف

من ليف وخطام من ليف واعلم يا ملك القبط انه كان يخصف النعل ويرقع
القميص ويركب الحمار ويقول من رغب عن سنتي فليس مني وكان له قميص
من القطن قصير طويل الكمين ليس له زر ولقد اهدى له برود حلة شريت له
بثلاث وثلاثين بعيرا فلبسها مرة واحدة واهدى له جبة من الشام فلبسها
حتى تخرقت وخفان فلبسهما حتى تخرقا وكان له رداء طوله اربعة اذرع
وعرضه ذراعان ونصف فكان يشتمل به وكان له ثوب يلبسه للوفود اذا
قدموا عليه وكان من احلى الناس اذا تكلم واذا تكلم بكلمة رددها ثلاثا
واذا مر بقوم سلم عليهم وكان اذا تحدث يتبسم في حديثه واذا كان جالسا
في جماعة واراد القيام يقول سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا
انت استغفرك واتوب اليك فقلنا يا رسول الله ان هذه الكلمات اخذتهن
عادة قال زارني بهن جبريل عليه السلام واعلم يا ملك انه حين قبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم اخرجت لنا زوجته عائشة رضي الله تعالى عنها كساء
وازارا غليظا وقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين فقال
المقوقس هذه والله اخلاق الانبياء فطوبى لمن اتبعه واذا امته هي الامة
الموصوفة في الانجيل فقال قيس ابشر ايها الملك ما تكون امة عند الله
تعالى افضل من هذه الامة قال فغضب الملك من قوله وقال باي شيء
انتم افضل عند الله باكلكم الحرام وارتكابكم الاثام وفعلكم المنكرات
وتجنبكم الحسنات وظلمكم للرعية وميلكم الى الدنيا الدنية اين انتم
من قوم عبر عليهم الاسكندر فراهم ليس فيهم قاض حاكم ولا امير
بالامارة قائم ولا فيهم من يختص بالغنا عن اخيه ولا مزدريا بالفقر الذي
يشينه متساويين في كل ما هم فيه اكلهم واحد وشربهم واحد غير
متقاطعين ولا متضادين بل متحابين متواصلين فتعجب الاسكندر ورأى
وابصر على العقلاء منهم وسالهم عن ما راى منهم ومن حالهم وانصت الى
مقالهم فقالوا ايها الملك السعيد انا وجدنا جمجمة وعليها مكتوب يا ابن ادم
المالك املك حتى كانك خال من عملك فاعجلك اجلك فصرت الى التراب
غشاه عليك الاحباب وخلوت بما قدمت اما صالح فسرك واما غير
صالح فندمت حيث لا ينفعك ندمك وتمنيت ان يكون لك الى الدنيا
مرجع لترجع عن الذي المالك وتقلع فلم ترجع فطوبى للكيس العاقل الذي
ليس بوان ولا غافل تزود الى ماله مصير قبل بكائك على التقصير وبادر

الى الخير قبل الفوت واغتنم حياتك قبل الموت فكانى بالحى قد هلك وفارق
كلما ملك فاعتبرنا ايها الملك بهذه المواعظ البالغة والبسنا اثوابها السابغة
فقال الاسكندر ما بال مساجدكم متناسقة خالية وقبوركم قريبة دانية
فقالوا اما مساجدنا فمتناسقة ليكثر الاجر بكثرة الخطا اليها ومقابرنا قريبة لنتذكر الموت
فننتهى عن الخطا فقال الاسكندر ما لى ارى ابوابكم بلا اغلاق
قالوا لان ما فينا سارق قال فمالى لا ارى فيكم اميرا ولا حاكما قالوا لانا لم
نجد فينا متعديا ولا ظالما قال الاسكندر فما لى لا ارى فيكم فقيرا قالوا
لان رزق الله فينا بالسوية الصغير والكبير كثيرا ثم ابرزوا له جمجمتين
عظيمتين قديمتين فقالوا ايها الملك ايهما شئت فهذه جمجمة رجل
ظالم ورجل عادل وكلاهما صارا الى هذا المصير ولم ينفعهما الجمع الكثير
اما العادل فمسرور وفرحان واما الظالم فنادم حيران فاز المتقى وحرم
الشقى فاختبر ما تراه قبل الخبر فانك لجمجمتين فى الاثر ملكت ايها
الملك النواصى ونفذ امرك على الدانى والقاصى واستخلفك الله فى الارض
وامرك بالنفل والفرض فتذكر مرجعك ورمسك واعمل لنفسك واعلم
انه لن ينفعك جندك اذا قبضت روحك واشتمل عليك قبرك فاترك
اوامر الشيطان ودواعيه وخذ باوامر الرحمن ونواهيه ولا يغرنك
الشيطان الرجيم فتبوء بالاثم العظيم واذكر ايها الملك ما فعل
الشيطان بابيك ادم حين نصب له مكيدته وادار عليه حيلته نصب
له فخ العداوة وغره بحب المرأة فقال قيس بن سعيد ايها الملك اتدرى
من اولئك قال لا قال قوم مؤمنون من قوم موسى بن عمران عليه الصلاة
والسلام وقد قال الله تعالى عنهم فى القرآن العظيم اذ يقول عز من
قائل ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وقد راهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به الى السماء فلما عاد راجعا من معراجه
عبر بهم واخبرنا بذلك فقلنا يا رسول الله هم قوم مؤمنون بالخبر قال نعم
واراد الله تعالى ان يعلمهم ان امة محمد صلى الله عليه وسلم افضل من
اولئك قال الله تعالى وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون فقال
المقوقس لقيس بن سعيد يا اخا العرب ارجع الى اصحابك واخبرهم بما
سمعت وابصرت ما يستقر بيننا وبينكم فقال قيس ايها الملك اعلم
انه لابد لنا منكم وليس يخيكم منا الا الاسلام او اداء الجزية او القتال

قال المقوقس سوف اعرض على قومي ما ذكرت وانا اعلم انهم ما يجيبوني
الى ذلك لان قلوبهم قد قست من اكل الحرام قال محمد بن اسحاق الاموي
حدثني عبد الله بن سهيل قال اخبرنا عدي بن حاطب قال حدثنا سليمان بن يحيى
قال كان المقوقس صاحب مصر والاسكندرية قد استحسن له سنة حسنة
في شهر رمضان فكان اذا اهل شهر رمضان يعتزل قومه ورعيته ويطلب
الخلوة في مكان قد جعله برسم ذلك فلا يظهر لاحد من ارباب دولته ولا
يدخل عليه غير صاحب طعامه وشرابه وخادمه فاذا انسلخ شهر رمضان
ظهر لهم وجلس على كرسي مملكته وكان مخاطبة الملك لقيس بن
سعيد في اواخر شهر شعبان وقدوم رمضان فخرج قيس بن عند الملك
وسار الى عمرو بن العاص واخبره بما كان من حديث الملك المقوقس قال
وهل شهر رمضان ودخل الملك الى دار خلوته التي استحسنها في شهر
رمضان وميله للاسلام ولا يحتاج الى مقاتلة العرب وجلس ولده
ارسطوليس لانه كان ولي عهده قال ابن اسحاق فلما جلس ارسطوليس
على كرسي الملك وكان جبارا عنيدا وانه لما سمع ما تحدث به ابوه مع قيس
ابن سعيد علم ان ميل ابيه للاسلام وانه لا يقاتل العرب وربما يسلم اليهم
ملكه فعند ذلك جمع اليه ارباب دولته واكابر القبط وقال لهم
اعلموا انكم ملكتم هذا الملك من بعد الغرق يعني من بعد طوفان نوح عليه
الصلاة والسلام واعلموا ان ابي يريد ان يسلمه الى العرب وذلك اني
سمعت كلامه وما نطق به فعلمت ان كلامه مايل الى ذلك فقالوا ايها
الملك اعلم ان الامر منوط بك وانت ولي عهده وصاحب الامر من بعده
فاصنع امرا يعود صلاحه علينا وعليك وعلى رعيتك ثم خرجوا من عنده
وابن الملك مصمم على هلاك ابيه قال صاحب الحديث رحمه الله تعالى
فلما دخل الملك دار خلوته التي استحسنها في شهر رمضان لنفسه وجلس
ولده ارسطوليس على كرسي ملكه واقبل ارسطوليس على صاحب شراب
ابيه واعطاه الف دينار وقرر له قطاعا برسمه وحلف له على ذلك
ايمانا على انه يسقي لابيه سما فقبل الساقي ذلك وجعل في شراب الملك
سما وسقاه فمات لوقته ثم اقبل الى ارسطوليس واخبره بموت ابيه
فمضى اليه ووقف على مصرعه وبكى ثم امر خدامه ان يدفنوه بثياب ملكه
فدفنوه ثم امر ارسطوليس بقتل الخدام والساقي فقتلوا جميعا

قال وجلس ارسطولیس علی سرير الملك بجاري عادته مع ابيه اذا غاب عن رعيته وليس عنده احد من الناس علم بموت ابيه المقوقس قال صاحب الحديث رحمه الله تعالى هذا ما كان من امر الملك ارسطوليس وما فعل بابيه واما ما كان من عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه فانه لما رجع قيس بن سعيد اليه واخبره بما كان من امر الملك المقوقس وحديثه فعزم عمرو على محاصرته ومحاربته ان لم يجبه الى ما دعاه اليه من الاسلام او اداء الجزية فارتحل بجيشه ونزل بموضع يعرف بقليوب واقام به وبعث رسله الى اهل الرستاق وطيب قلوبهم وقال لا يجفل منكم احد ولكم الامان ونحن نقنع بما توصلوه الينا من بركم فاجابوه الى ذلك وارتحل عمرو من قليوب وسار حتى نزل بحر الحصا من نفس مصر فارتجت مصر لنزول العرب عليهم ووقع التشويش فيهم وعلا الضجيج وغلقوا الدكاكين ودربوا الدروب ووقف كل اهل درب على دربه بالعدد والسلاح ليحموا اموالهم وحريمهم قال ولما نزل عمرو بجيشه بحر الحصا امر من كان معه من الموالي وعرب اليمن ان يحفروا حول عسكره خندقا ففعلوا ذلك واقبلت الخيرات ترد اليهم من القرى بالخيرات والعلوفات واستقر قرار عمرو بمصر ولم يزالوا مقيمين بها ولم يروا من ملكها رسولا ولا خبرا فعزم عمرو على ان يبعث الى ملكها رسولا وكان لعمرو غلام قد اخذه من الرملة وكان يعرف بلغة القبط فاقبل عليه عمرو وقال له يا وردان قال لبيك قال انت رجل تعرف لغة القبط واني اريد ابعثك الى ملك مصر رسولا قال يا مولاي انا بحكمك ولا اخالف لك قولا قال فلما عزم عمرو ان يبعث الى ملك القبط ارسطوليس كتابا ويسيره مع غلامه وردان واذا برجل من القبط واقف على شفير الخندق وهو يقول بلسان عربي فصيح يا معاشر العرب ان ولي عهد الملك ولده ارسطوليس يريد منكم ان تبعثوا له رسولا من عندكم ليخاطبه بما في نفسه لعل الله تعالى ان يصلح الامر بينكم وبينه فاسرع رجل من العرب الى عمرو بن العاص فاخبره بذلك فقال عمرو ليزيد بن ابي سفيان ولهاشم بن سعيد الطائي ولعبد الله بن جعفر الطيار ولاكابر الصحابة الذين كانوا عنده حاضرين اعلموا اني قد استظهرت على مخاطبة ملوك الروم ولست ارى من يسير الى هؤلاء القبط احد غيري واريد انظر الى صاحبهم واخاطبه على قدر ما تكلم به وارى ما عنده ولعل ان الحق

على شيء من امورهم فقالوا ايها الامير اقوى الله عزمك وانجح طريقك فنحن ما رأينا منك الا النصيحة للمسلمين والنظر في احوالهم بما يسرهم فان رايت ان في مسيرك الى هؤلاء القوم صلاحا لك وللمسلمين فاعزم والله الموفق للصواب وانظر بما اراك الله عز وجل قال فاستدعى عمرو بشرحبيل بن حسنة كاتب وحي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلده امور المسلمين واوصاه بالجيش وقال له الزم مكانك حتى اسير الى هذا الملك وانظر ما عنده وآتيكم باخباره واخبار قومه قال شرحبيل سر الله يرشدك ويسترك ثم ان عمرو بن العاص رضي الله عنه لبس ثوبا من كرابيس الشام ومن تحته جبة من الصوف وتقلد بسيفه وركب جواده وسار وغلامه وردان امامه يريد مصر وليس حولها سور يمنع ولا خندق ولكنها محصنة بالدروب فوجد الخيل والرجال على كل درب من دروبها فتقدم وردان وخاطبهم بلغتهم وقال يا قوم هذا رسول العرب اليكم فافسحوا له عن الطريق فقالوا والله انا لا ندع احدا يعبر الا بامر الملك قال فبينما وردان يخاطب القوم واذا برسول ارسطوليس قد اقبل وهو الذي كان قد اتى الى عمرو بالرسالة فامر صاحب الدروب ان يفتح له الطريق وان لا يمنع من العبور قال ففتحوا لعمرو فعبر هو وغلامه وردان ورسول الملك وساروا جميعا الى قصر الشمع واذا المواكب مصطفة والحجاب واكابر الدولة قد تظاهروا بفخر الملبوس والدروع والجواشن والزرد النضيد واعمدة الحديد وبايديهم القسي الموترة وقد اظهروا واجتهدوا مهما امكنهم من الحشمة والسلاح وحسن الزينة قال فلما وصلوا الباب القصر استأذن لهم الحاجب فاذن ارسطوليس لعمرو وغلامه وردان بالحضور فخرج الحجاب وامروا عمرا بالنزول عن جواده فنزل فلما اراد الدخول اراد والحجاب ان يزيلوا سيفه من عنقه قال ما كنت بالذي ادخل الا بسيفي فان ارادصاحبكم ان يزيل سيفي من عنقي رجعت من حيث اتيت وانا قوم قد اعزنا الله بالاسلام ونصرنا بالايمان وايدنا بالسيوف وبها اذللنا اهل الشرك والطغيان والآن فانتم طلبتونا ولم نطلبكم قال فاخبروا الحجاب الملك بمقالة عمرو بن العاص فقال دعوه يدخل كما يريد فعند ذلك دخل عمرو وغلامه وردان فلما اقبل عمرو على الملك ارسطوليس وهو جالس على سرير ملكه والحجاب بين يديه ومماليكه عن يمينه وشماله قيام وايديهم على مقابض سيوفهم وعليهم اقبية الديباج الملون وفي اوساطهم المناطق

المرصعة بانواع فصوص الجوهر وبايديهم اساورة الذهب فلما رأى عمرو
ذلك تبسم ضاحكا ثم قرأ قوله تعالى فما أوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا
وما عند الله خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون قال صاحب الحديث
رحمه الله تعالى وكان هذا القصر قد بناه اولاد الملك الريان بن الوليد بن
ارسلاوس الذي استخلف يوسف عليه الصلاة والسلام على مصر من بعد
العزيز ثم خرب واقام خرابا خمسمائة عام حتى لم يبق منه الا اثره وتولى من
بعد ذلك فرعون ملك مصر وادعى ما ادعى واعاد القصر الى ما كان وبعث
الله سبحانه وتعالى موسى عليه الصلاة والسلام واهلك على يديه فرعون
وخرب القصر ولم يزل خرابا حتى بعث الله نبينا عيسى عليه الصلاة والسلام
وانتشرت دعوته وكان من امره ما كان ورفعه الله الى السماء وافترقت
امته فرقا وادعوا فيه ما ادعوا من تقول الكذب وولى مصر الملك ارجاليس
ابن سرقاطيس فبنى القصر واعاده الى احسن ما كان وسماه بقصر الشمع
لانه كان لا يخلوا منه الشمع فلما بناه احضر الحكما الذين كانوا في اخميم وكان
كبيرهم فريانس فقال لهم الملك ارجاليس اعلموا اني قد قرأت كثيرا من
الكتب التي انزلت على الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الله تعالى
فوجدت فيها ان الله عز وجل يبعث في اخر الزمان نبيا عربيا يكون قوله
الصدق ودينه الحق واخلاقه ظاهرة وشريعته ظاهرة قد بشر به ايضا
عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فما تقولون ايها الحكما فيما قد ذكرت
لكم فقال فريانس الحكيم ان الذي قرأت وقلت هو الصحيح الذي لا بد له
فقال لا بد ان يكون ذلك فقالت الحكما نعم فقال الحكيم فريانس ايها
الملك اريد ان اصنع تمثالا واضعه باعلا قصرك ونجعل له من الحكمة رصدا
ونجعل وجهه مما يلي كنيستك المعظمة ديرباليس قال وكان الملك قد
بنى له هذه الكنيسة وسماها ديرباليس يعني بيت العبادة ونصنع ايضا
تمثالا اخر ونضعه على قبتها ويكون وجهه مما يلي التمثال الذي باعلا
قصرك فاذا كان وقت بعث هذا النبي يقع على وجهه واعلم ايها الملك ان
هذا الموضع يكون موضع عبادة القوم الذين يتبعون هذا النبي صلى الله
عليه وسلم وبه يكون اقامة شرعهم قال فانصرم الملك بذلك فاخذ
الحكما في عمل التمثال على ما ذكرنا فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم حول
كل تمثال وجهه عن صاحبه وسقط الذي كان باعلا الكنيسة على وجهه

والكنيسة هو اليوم الجامع واما التمثال الذى كان باعلا القصر حول وجهه
عن صاحبه ولم يزل ثابتا فى مكانه الى ان دخل عمرو بن العاص قصر الشمع
سمعوا منه صوتا عظيما ثلاثا ثم سقط على وجهه فارتاع له الملك وارباب
دولته وانخلعت قلوبهم وقالوا القبطية ما وقع هذا التمثال عند دخول
هذا الرجل الا لامر عظيم ولا شك هذا الذى يقتلع دولتنا ويملك بلادنا
قال فلما دخل عمرو بن العاص رضى الله عنه على الملك ونظر الى حشمته وارباب
دولته وما هم فيه من الزينة الظاهرة حيا الملك وجلس بين يديه وعارض
سيفه على ركبتيه ونظر الى القصر واذا هو مزخرف بالذهب والفضة وهو
مرصع بالفصوص الملونة فى سائر اركانه فقرأ قوله تعالى ولولا ان يكون
الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج
عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك
لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ثم قال انكم تحشرون
حفاة عراة غرلا كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين
والله لتسئلن يوم القيامة عما كنتم تعملون فاتقوا الله الذى اليه مصيركم
واعلموا ان الدنيا دار زوال وفنا والآخرة دار البقا اما سمعتم ما كان
عليه نبيكم عيسى عليه الصلاة والسلام من الزهد كان لباسه الشعر
ووساده الحجر وسراجه القمر ولقد سمعت نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم
يقول ان الله عز وجل اوحى الى نبيه عيسى عليه الصلاة والسلام يقول يا عيسى
نح على نفسك فى العتمات وعاتبها فى الخلوات وسارع الى الصلوات واعمل
الحسنات وتجنب السيئات وابك على نفسك بكاء من ودع الاهل والاولاد
واضحى وحيدا فى البلاد وكن يقظانا اذا نامت العيون خوفا من امر لا بد
ان يكون فاذا كان روح الله تعالى وكلمته خوف بهذا التخويف فكيف يكون
المكلف الضعيف واعلموا انه تكلم فى المهد وقال انى عبد الله فاذا كان
قد اقر بالعبودية لله فكيف تعتقدون فيه الربوبية وان الله عز وجل تنزه
عن المشاركة وتفرد بالوحدانية وتعزز بالالهية وقال عز من قائل ما اتخذ
الله من ولد ولا شريك فى ملكه احد جل عن الصاحبة والاولاد والشركة
والاضداد لا صاحبة له ولا ولد ولا شريك له ولا وزير ليس لاوليته ابتدا
ولا لآخريته انتها لا يحويه مكان وهو فى كل مكان من غير حلول ليس بجسم
فيمس ولا بجوهر فيحس ولا يوصف بالسكون والحركات ولا المنافع

والمضمرات ثم قرأ ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا فقال الملك ارسطوليس فصح الان عندكم يا هؤلاء العرب ان المسيح تكلم في المهد قال عمرو نعم فقال الملك هذه فضيلة تفرد بها المسيح على جميع الانبياء فقال عمرو وقد تكلم غيره فقال الملك ومن تكلم غيره قال عمرو صاحب جريج وصاحب الأخدود فقال الملك كيف كان ذلك قال عمرو كان في بني اسرائيل رجل يقال له جريج وكان ذات يوم قائم يصلي في صومعته فجاءته امه تدعوه اليها فقال يا رب صلاتي وأمي ثم اقبل على صلاته ولم يجبها فمضت عنه فلما كان في اليوم الثاني اتته فدعته فقال يا رب أمي وصلاتي ثم أقبل على صلاته فانصرفت عنه فلما كان اليوم الثالث أتته وهو قائم يصلي فدعته فقال يا رب أمي وصلاتي ثم اقبل على صلاته ولم يجبها فقالت أمه اللهم لا تمته حتى ينظر الى وجوه المومسات قال وتذكر بنوا اسرائيل جريجا وعبادته وكان في ذلك الوقت في بني اسرائيل امرأة بغي يتمثل بحسنها قالت ان شئتم لأفتننه لكم قال فتعرضت له بنفسها فلم يلتفت اليها فأتت راعيا كان يأوي الى تحت صومعة جريج فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت منه فلما ولدت قالت هو ابن جريج فاتوا اليه واستنزلوه من صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شأنكم فقالوا له زنيت بهذه البغي فولدت منك غلاما فقال لهم ائتوني بالصبي فجاؤا به فقال اتركوه حتى أصلي فتركوه فصلى ودعا فلما فرغ من صلاته ودعائه اقبل على الصبي فوكزه بيده في بطنه وقال يا غلام من ابوك فقال فلان الراعي فاقبل بنوا اسرائيل على جريج يقبلونه ويتبركون به وقالوا له نبني صومعتك من فضة وذهب قال لا بل اعيدوها من الطين كما كانت ففعلوا ذلك وأيضا أيها الملك كان في بني اسرائيل امرأة جالسة وفي حجرها صبي وهي ترضعه اذ مر بها رجل راكب على دابة حسن الوجه عظيم الهيبة فقالت أم الصبي اللهم اجعل ابني مثل هذا فترك الصبي ثدي أمه وقال اللهم لا تجعلني مثله ثم اقبل على ثدي أمه وجعل يرضع قال ابو هريرة رضي الله عنه فكأني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحكي ارتضاعه باصبعه السبابة في فمه وجعل يمصها قال ومرت بأم الصبي جارية ومعها ناس وهم يضربونها ويقولون لها زنيت سرقت وهي تقول حسبي الله ونعم الوكيل فقالت أم الصبي اللهم لا تجعل ابني مثلها فترك الصبي ثدي أمه وقال اللهم اجعلني مثلها فهناك قالت أمه أيمر رجل حسن الهيبة فأقول

اللهم اجعل ابني مثله فتقول الام لا تجعلني مثله ومرت جارية والناس يضربونها
ويقولون سرقتي زنيتي فاقول اللهم لا تجعل ابني مثلها فتقول اللهم اجعلني مثلها
قال الصبي الرضيع نعم ان ذلك الرجل كان جبارا فقلت اللهم لا تجعلني مثله
وان الجارية لم تزن ولم تسرق فقلت اللهم اجعلني مثلها قال ارسطوليس
يا اخا العرب انطق الله تعالى نبيكم بغير لسان العربية قال عمرو لا وقد
اخبر الله تعالى في كتابه العزيز اذ يقول عز من قائل وما ارسلنا من رسول
الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء فقال
الملك ابعث الله نبيا عربيا غير نبيكم قال عمرو نعم هود وصالح وشعيب ومحمد
صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين فقال وزير الملك وكان حكيما
واسمه قيطلس معناه بحر العلوم وكان راهبا بدير القدس فلما ولي الملك
ارسطوليس بن المقوقس مكان الملك انزله من ديره وجعله وزيره وكان
خبيرا بحكم النجوم فقال لعمرو بن العاص ما تقول في النجوم وتأثيرها فقال
عمرو ان النجوم ليس لها تأثير ولا حكم لانها مأمورة مستخدمة لا حكم لها في امرها
ولا لغيرها ونحن لابد لنا من معرفة المنازل لان القمر لابد له من منزلة يسير
اليها وقد اخبرنا الله تعالى عن ذلك في كتابه العزيز اذ يقول والقمر قدرناه
منازل هي الابراج وهي اثنى عشر برجا وهي حمل ثور جوزا سرطان اسد
سنبلة ميزان عقرب قوس جدى دلو حوت والكواكب سبعة وهي
زحل مشترى مريخ شمس زهرة عطارد قمر فمن قال بالقطع والتأثير
فقد خرج من ملتنا وشريعتنا ومعنى القطع والتأثير فان النجم اذا قطع
بالتأثير لابد ان ينزل الغيث فيكون غلاء او رخصا فهذا علم ما خص الله تعالى
به احدا من خلقه الا ان النجم اذا كان مقارنا للنجم كان ذلك استمرارا وانعكاسا
فينال ايضا صاحب ذلك النجم انعكاسا وقد يجوز ذلك ولا يجوز ولهذا قال
النبي صلى الله عليه وسلم من صدق كاهنا او منجما فقد كفر بما جاء به ابو القاسم
محمد وقال صلى الله عليه وسلم اذا نشأت شامية يعني سحابة فتلك غديقة
يعني اذا اقبلت السحابة من الشام الى المدينة يكون المطر وكذلك البرق
اذا كان من اليمن يقولون هذا برق خلب يعنون لا مطر فيه ولهذا قال النبي
صلى الله عليه وسلم اصبح من الناس مؤمن وكافر فمن قال برحمة الله امطرنا
فهو مؤمن بالله كافر بالكواكب ومن قال بالكوكب الفلاني امطرنا فهو كافر
بالله مؤمن بالكواكب ثم قرأ عمرو ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث

ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض
تموت ان الله عليم خبير قال فلما سمع الوزير قسطنطين كلام عمرو وما قد رأى
من فصاحته قال بالقبطية للملك ايها الملك ان هذا البدوي فصيح اللسان
جري الجنان وقد عرفت انه مقدم العرب وصاحب الجيش النازل علينا وقد
نفذت عليه اعين الصحابة وقد ضيعوا امرنا قال وغلام عمرو يفهم ما يقول الوزير
للملك فقال الملك للوزير انه لا يجوز ذلك ولا يحسن لنا ان نغدر برسول ولا
سيما ونحن استدعيناه قال فعند ذلك قال وردان لعمرو ما لي اراك فزعا
اتظن ان الملك ارسطوليس يريد قبضك واسرك اما انه لا يفعل ذلك
قال فلما سمع عمرو كلام غلامه علم فحواه وعلم انه يحذره فايقظ عمرو خاطره
واخذ حذره فقال الملك ارسطوليس يا اخا العرب ما الذي تريدون منا
حتى اقبلتم الينا ونزلتم بارضنا ونحن اولوا قوة وبأس شديد وما قصدنا
احد من الملوك الا ورجع بالخيبة وعساكر الروم والنوبة تنصرنا وقد وصلت
اليهم وكاتبتهم وقد اقبلوا نحونا قال عمرو انا قوم لا نخوف بالجيوش
وكثرتها فلا نخوف بها لان الله سبحانه وتعالى وعدنا النصر على لسان نبينا
وبذلك انزل عز وجل في كتابه العزيز اذ يقول عز من قائل ولقد كتبنا في الزبور
من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون ونحن ندعوكم الى شهادة
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا رسول الله فان ابيتم ذلك
وغلبت عليكم الشقاوة فتؤدون الجزية وانتم صاغرون فان ابيتم فاذنوا
بحرب من الله قال فلما سمع الملك ذلك من عمرو قال يا اخا العرب اعلم اننا
لا يمكننا ان نعمل شيئا الا برأي الملك المقوقس والآن الملك في خلوته التي
استخلصها لنفسه في شهر رمضان فاذا انسلخ الشهر وخرج الملك نعمل
برأيه ولكن يا اخا العرب ما اظن في اصحابك احزم منك ولا اجرى
منك لسانا واثبت مكانا واجرى جنانا فقال عمرو وانا اكل لسانا من
اصحابي ومنهم من لو كلمته لعلمت اني لا اقاس به قال الملك من المحال ان
يكون في اصحابك مثلك قال بلى ايها الملك ولو اردت احضرت لك منهم
عشرة رجال لتعلم صحة ذلك فقال افعل ثم قال الملك لوزيره بالقبطية
اذا اردنا القبض على الرجل فالقبض على العشرة اولى ثم قال لعمرو ابعث
اليهم ليحضروا فقال ايها الملك انهم لا يأتون برسول فان اردت مضيت
اليهم واتيت بهم فقال الملك افعل فوثب عمرو قائما وخرج مبادرا

وركب

وركب جواده وهو لا يصدق بالنجاة وسار وغلامه وردان بين يديه حتى خرجوا من مصر قال ولما خرج عمرو وغلامه قال الملك لوزيره وحق ديني لان اتى بهم لاقتلنهم جميعا قال ولما خرج عمرو وغلامه وردان عرفه غلامه وردان بما سمع من الوزير وهو يقول للملك من جهة القبض عليه فقال عمرو والله لاعدت الى مثلها والله يا وردان لأكافئنك بها فما جزاء الاحسان الا الاحسان وساروا حتى وصلوا الى عسكرهم فلما رآهم المسلمون قد اقبلوا سارعوا الى ملتقى الأمير عمرو وسلموا عليه وهنوه بالسلامة وقالوا أيها الامير لقد ساءت الظنون بك حيث ابطات فاقبل يحدثهم بما جرى له مع الملك وكيف اراد القبض عليه واعلمه بذلك غلامه وردان وانه ما خلص بنفسه الا بضمن له ان يأتيه بعشرة رجال من اصحابه فتعجب اصحابه من ذلك وشكروا الله تعالى على سلامته وخلاصه من يد القبط وباتوا تلك الليلة فلما اصبح الصباح صلى عمرو بالمسلمين صلاة الصبح فلما فرغ من صلاته امر المسلمين باخذ الاهبة والركوب الى الحرب واذا برسول ارسطوليس قد وقف على شفير الخندق وقال يا معاشر العرب ان الملك ارسطوليس ينتظر رسولكم والعشرة من اصحابه فاخبروا عمرا بذلك فاقبل عمرو اليه وقال يا هذا ان الغدر يهلك صاحبه وعلى الباغي تدور الدوائر يا ويلك ينفذ صاحبك يطلب رسولا منا فلما اتيته اراد ان يقبض علي وتكلم بكذا وكذا يا ويلك من الذي يحميك منا اذا اردنا قتلك ولكنا لسنا نفعل ذلك لاننا نوفي بالوعد ولا ننقض العهد ارجع الى صاحبك وقل له اني سمعت ما تكلم به هو ووزيره من جهة القبض علي وقد نجاني الله من كيده وما انا بالذي ارجع اليه ابدا قال صاحب الحديث هكذا جرى لعمرو بن العاص مع الملك ارسطوليس بن الملك المقوقس صاحب مصر وكان عمرو بعد ذلك اذا حضره امر واراد ان يحلف فيقول لا والذي نجاني من صاحب القبط قال وان الرسول رجع الى صاحبه ارسطوليس وحدثه بما قال عمرو فعلم الملك انه فطن به حين التقى اليه الوزير فلك ثم قال الملك لوزيره من اين لهذا ان يحفظ لغتنا وهو بدوي فقال الوزير اظن الذي كان معه يحفظ لغتنا فغدره منا فقال الملك لوزيره ما الذي ترى من الرأي في هؤلاء العرب وان القوم مستقتلون لا تقسم فلا يصل اليهم احد بمكر ولا بخداع فقال الوزير قسطوس انه قد بلغني ان القوم يوما يعظمونه وهو يوم الجمعة كما نعظم نحن يوم الأحد

وارى لك من الرأى ان تكمن لهم كمينا مما يلى الجبل المقطم فاذا اخذ القوم فى صلاتهم
يخرج الكمين عليهم ويضع السيف فيهم فلا ينجو منهما احد. قال
فاستصوب الملك رايه واقام ينتظر يوم الجمعة ليكمن لهم الكمين كما ذكر الوزير
قال وان الامير عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه لما تخلص من يد ملك
القبط ذلك اليوم واصبح فى اليوم الثانى دعا بعبد الله يوقنا وقال له يا عبد
الله اعلم ان هؤلاء القوم قد اخروا القتال ونحن مقيمون ولحربهم منتظرون
وليس عندنا من الزاد والعلوفة ما يكفينا ويكفى دوابنا فامض فى عسكرك
وبنى عمك الى القرى واشتر لنا زادا وعلوفة لدوابنا ما يكفينا لنا ولدوابنا
هذه الايام قال يوقنا سمعا وطاعة ثم ركب يوقنا فى بنى عمه وعسكره
وهم يومئذ اربعة الف فارس واخذ معه الموالى والعبيد والبغال والحمير
وساروا جميعا يطلبون الزاد قال صاحب الحديث وكان قد اختلط
بالمسلمين اقوام من جواسيس القبط وسمعوا ما تحدث به المسلمون وما قد عزموا
عليه من مسيرهم الى الريف بسبب الميرة فرجع الجواسيس الى الملك ارسطوليس
واخبروه بذلك ففرح واقام ينتظر الجمعة فلما كان يوم الخميس دعا
ارسطوليس بابن عم له اسمه ماسيوس وكان مقدم جيشه بجرد معه من
جيش مصر اربعة الف فارس على عدد اصحاب يوقنا وامره ان ياخذ معه
بغالا ودوابا وعليها احمال وزاد وعلوفة ايضا لخيولهم لئلا ينكر احد عليهم
اذا راوهم وامره ان يسير تحت الليل بعسكره ويكمن بهم من وراء الجبل
المقطم وان يجعل له ايضا ديدبانا ينظر الى المسلمين فاذا دخلوا فى صلاتهم
اخبروا بهم فاخرجوا عليهم والبغال والدواب بين ايديكم لئلا ينكر احد
منهم عليكم اذا انتم خرجتم واقبلتم اليهم قال فسار ماسيوس
تحت الليل بعسكره الى وراء الجبل المقطم واكمن هناك ودبر امره كما
امره الملك واقام له ديدبانا من نحو منارة السودان قال صاحب
الحديث حدثنا عمار بن وهب قال اخبرنا سعيد بن عامر عن سليمان بن نافذ عن
عروة عن جابر ينقل الحديث عن ابن اسحاق الاموى قال هكذا دبر ملك
القبط ارسطوليس على المسلمين ومسك الكمين من ناحية المجرا الى تلك
التنور وهو اليوم مسجد موسى عليه الصلاة والسلام وبقوا من وراء الجبل
المقطم وليس بين الجبل ومجر الحصا الا دون نصف ميل قال وبات
القوم فى كمينهم وليس عند المسلمين خبر من ذلك فلما اصبح الصباح

يوم الجمعة وارتفع النهار واتسع وقرب وقت الصلاة جمع المسلمون رحالهم وجمالهم
وجعلوا بعضها على بعض لأجل الخطبة واجتمع الناس للصلاة وليس عندهم
خبر بما دبر عليهم عدو الله قال ولما اجتمع المسلمون لصلاة الجمعة جعل عمرو
يحدث الناس بما يكون من أمر قتالهم لعدوهم ويرغبهم في الجهاد إلى أن أذن
مؤذن المسلمين فلما فرغ الأذان صعد عمرو رضي الله عنه على تلك الرحال
وخطب خطبة بليغة وذكر فيها فضل الجهاد وما أعد الله عز وجل للمجاهدين من
الأجر والثواب وتلا في آخر خطبته قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على
تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم
وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ثم ذكر من بعد ذلك فضل الجهاد
وفضل رمضان وما أعد الله فيه من الأجر والحسنات قال صاحب الحديث
حدثني سليمان بن ثابت عن جده شداد بن أوس قال بينما نحن قد اجتمعنا للصلاة
وعمرو يحدثنا بما يكون من أمر قتالنا لعدونا ويذكر لنا فضل الجهاد ويرغبنا
فيه فقلنا أيها الأمير ما الذي يقعدك عن قتال عدونا فقال والله ما تأخرت عن
قتالهم لجزع منهم ولا لخوف ولكن قد علمتم بقصة هذا الملك المقوقس وما هو
عليه من حصانة العقل وهو مقر بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو الآن
في خلوته التي استحسنها لنفسه في الشهر المبارك وقد بقي من شهر رمضان خمسة
أيام ويظهر من خلوته ويجلس على سرير ملكه ثم نبعث إليه رسولا منا لنرى ما يكون
من جوابه فإما صلح وإما قتال قال شداد بن أوس بينما نحن نسمع ما يقول إذ
أقبل رسول اللعين ارسطوليس ووقف على شفير الخندق واستأذن الدخول
فأذن له عمرو بالدخول إليه فدار من حيث الأرض المستوية لأن الخندق كان
من ناحية مصر ودورها مما يلي الجبل المقطم فلما دخل الرسول وقف بين
يدي عمرو وسلم عليه وقال يا أمير العرب إن ولي عهد الملك يسلم عليك ويقول
لك إنه لا ينبغي أن يحدث أمرا من صلح ولا قتال إلا بأمر الملك وهو كما علمت
في خلوته وقد بقي له خمسة أيام ويجلس على سرير ملكه ويدبر رعيته بما يريد
قال عمرو وقد فعلنا ذلك ولولا الملك وما نعلم من يقينه وأنه مقر لنبينا
محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة لما أمهلنا كطرفة عين والسلام قال ومضى
الرسول قال صاحب الحديث رحمه الله تعالى وإن اللعين ارسطوليس ما بعث
الرسول في ذلك الوقت إلا ليطيب به قلوب المسلمين ويطمئنوا إليه ليقضي
الله أمرا كان مفعولا قال شداد بن أوس فلما رجع الرسول وأذن المؤذن

وخطب عمرو خطبته وحذر فيها من النار ورغب في الجهاد وشوق الى الجنة فلما
فرغ من خطبته واقاموا الصلاة وتقدم عمرو للصلاة وكان العرب قد اسروا
مواليهم ان يرقبوا نحو مصر مخافة من العدو ان يكبسهم في صلاتهم قال
شداد بن أوس ونحن لا نرى احدا من اهل مصر يظهر لنا لا فارسا ولا راجلا
فاخذنا صفوفنا واستوينا خلف عمرو للصلاة وليس بيننا عدو نخافه فلما
آم عمرو بنا وعقدنا النية خلفه وقرأ عمرو وركع الركعة الاولى وركعنا الركوعه
تبعا له واومينا بالسجود اذا اشرفت البغال والدواب وعلى ظهورها الاحمال
والعسكر من ورائهم وهم اهل الكمين الذى كمنه عدو الله ارسطوليس وهم
على عدد اصحاب يوقنا كما ذكرنا اربعة ألف فارس فلما نظر اليهم موالينا
ظنوا انهم اصحابنا قد اقبلوا بالعلوفة ففرحوا بذلك وقالوا جاء يوقنا واصحابه
قال ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا بالقرب منا من جهة الارض المستوية
واطبقوا علينا ونحن في الصلاة ووضعوا السيف فينا ونحن ساجدون
في الركعة الثانية بين يدى الله تعالى والسيف يقطع في لحومنا قال شداد
ابن أوس وما أحد من المسلمين قام من سجوده ولا فارق الصلاة وكانت
فوق الجبل على آخر صف والذى يليه وكانوا قوما من اليمن ومن بجيلة وفيهم
أناس من وادى القرى ومن الطائف ومن وادى نخلة قال عباد بن عتبة
فهلكوا جميعا بسيوف القبط وايقنا بالهلاك وما فينا من حرف وجهه
عن الصلاة اذ اقبل عبد الله يوقنا واصحابه بالميرة فنظروا اخواننا فرأوا
السيوف تلمع فانكر يوقنا امرنا وارمى ما كان على رأسه وصاح في اصحابه
وبنى عمه وقال والله قد دهوا اصحابنا الا من قصر منكم عن جهاد عدوكم ولم
يبذل نفسه في سبيل الله طولب يوم القيامة الا وان عدو الله قد غدر
باصحابنا دوروا من حولهم وضيقوا عليهم وضعوا السيف فيهم واحذروا
ان يفلت منهم احد قال وحمل يوقنا واصحابه على اعداء الله واحاطوا بهم
فلما نظر القبط الى من دهمهم من المسلمين رفعوا السيف عن المصلين واستقبلوا
يوقنا واصحابه قال ولما فرغ عمرو من صلاته بادر الى جواده وركب المسلمون
خيولهم وحملوا على اعداء الله حملة عظيمة واحاطوا بهم وحالوا بينهم وبين
مصر ووضعوا فيهم السيوف فوالله ما نجا منهم أحد وكأنهم كانوا طيورا
ووقعوا في شبكة صيادها فتركوهم صرعى على الصعيد فما نجى منهم مخبر
وقتل ابن عم الملك ما سيوس قال ولما وضعت الحرب أوزارها هنأ المسلمون

بعضهم بعضا بالسلامة وشكروا الله تعالى على ما أولاهم من نصرة واثنوا على يوقنا واصحابه خيرا وحازوا خيول القبط وسلاحهم واسلابهم والبغال والجمال الذى اتوا بها محملة وغنموا غنيمة عظيمة قال وافتقدوا من قتل من المسلمين واذا هم اربعمائة وستة وثلاثون رجلا ختم الله لهم بالشهادة وكان الاعيان منهم حمزة ابن سالم اليشكرى وربيعة بن صابر السهمى والمسيب بن خويلد اليشكرى ونصر اليشكرى وسابق ابن مزيد العجلى ومزيد بن سعيد اليشكرى وقوام بن عمر العجلى وقيس بن ماجد التنوخى وطلحة بن ثابت المخزومى ونصر بن الاخيل مولى ابن عياض بن غانم الطائى وكان فارس الخيل ونصر ابن عبد مناة التيلى بن عم ابى بكر الصديق رضى الله عنهم وكامل بن معبد بن حازم التجيبى والمقدام بن سارية النخعى وسعد بن مرشد الحضرمى ورفاعة بن مسروق اللخمى وجعفر بن دانية باسم امه يعرف وهذا اسدى بنى عامر بن صعصعة وعروة بن شامل الثقفى ومعمر بن ظاعن الزبيدى العامرى وعابس بن سمرة العامرى ورافع بن سهيل العامرى وعبد الله بن فاهر الكلابى ومالك بن نقيط العامرى والمكرم بن غالب العامرى ومعمر بن خليفة الدارى وماجد ابن مرة الخزرجى ودهمان بن عوض بن مسلم العجلى وطارق بن معن السلمى والباتة ابن ظاعن العبسى الشيبانى وهياج بن عمر التميمى وياسر بن مفرج وهلال بن خويلد الغطفانى والهيام بن عيينة الغطفانى وطوق بن حبيب الكلبى الجملة ستون رجلا من الاعيان ختم الله لهم بالشهادة وصلى عليهم عمرو بن العاص رضى الله عنه بجماعة المسلمين ودفنهم هنالك فى مواضعهم قبلة من مجرى الحصا وشرقا منه وقبورهم معروفة هنالك الى يوم القيامة رضى الله تعالى عنهم اجمعين قال صاحب الحديث رحمه الله تعالى واتصل الخبر الى الملك ارسطوليس بقتل ابن عمه والاربعة الف فارس فصعب ذلك عليه وايقن بزوال ملكه وذهاب رفقته واكابر دولته وشاورهم فى أمره فقالوا أيها الملك انك تعلم ان الدنيا ما دامت لأحد ممن كان قبلك حتى تدوم لك وما زالت الملوك تنكسر ثم تعود وما انت بأول من انهزم من ملوك الارض وقد سمعنا ان الدارينوس ابن ازدشير بن هرمز بن كيقباد بن يزدجرد الفارسى هزمه الاسكندر الرومى سبعين مرة فاخرج بنا الى لقاء هؤلاء العرب واضرب معهم مصافا ولا تيأس من النصر فان المسيح ينصرك وهؤلاء القسوس والرهبان والشمامسة والمطارنة يدعون لك بالنصر قال فقبل الملك ارسطوليس مشورة اصحابه واكابر وحجابه وفتح خزائن ابيه وانفق فى الجند وفرق السلاح وامرهم بالخروج الى

لقاء العرب فخرج القبط وضربوا خيامهم ومضاربهم وتأهبوا للحرب عدوهم وكتب ارسطوليس الكتب وسيرها الى ملك النوبة وملك البجاه يسألهم النجدة واقام ينتظر قدوم النجدة قال محمد بن اسحاق حدثنا عقبة بن صفوان عن عمر بن عبد الرحمن بن حبيب عن أبيه قال لما كان من أمر المسلمين ما ذكرنا من الامر المقتدر عليهم من كبسة العدو كتب عمرو بن العاص كتابا الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم والعاقبة للمتقين من عمرو ابن العاص بن وائل السهمي الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب سلام عليك فانى أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أما بعد فانى وصلت الى مصر سالما وجرى لنا على بلد بلبيس مع ابنة الملك المقوقس كذا وكذا ونصرت عليهم ودخلت منها الى مصر ونزلت بجرى الحصا وخندقنا حولنا خندقا وصالحت أهل القرى والاطراف وهي ارض يقال لها الحوف ليعينونا ويميرونا بالزاد والعلوفة ويجلبوا لنا من خيرات بلادهم وانا احتجنا شيأ من المؤنة والعلوفة فبعثنا يوقنا وبنو اعمه وجنده الى تلك القرى ليشتروا لنا طعاما وسرت أنا رسولا بنفسي الى ملك القبط ارسطوليس ابن المقوقس فكلمني وجاوبته وهم بالقبض على فنجانى الله سبحانه وتعالى منه والكن لنا كمينا واشغلنا برسول اتى منه مكرا وخديعة فلما كان يوم الجمعة واصطفينا للصلاة واخذنا فى صلاتنا وركعنا وسجدنا فلم نشعر الا والخيل قد كبستنا ونحن فى السجود وبذلت فينا القبط السيوف ونحن مقبلون على ربنا فى صلاتنا فقتلوا منا اربعمائة رجل وستة وثلاثين رجلا وما فينا من الوى عن صلاته وان الله عز وجل انجدنا بفضل منه فى تلك الساعة بيوقنا وجنده فاقبلوا علينا والسيوف تعمل فينا فصاح يوقنا فى جنده وحمل على القبط واحاط بهم فرفعوا السيوف عنا واشتغلوا بيوقنا فبذل فيهم السيف فقتل القبط جميعا فلم ينج منهم احد من سيفه وسيوف جنده وقتل مقدم القوم ماسيوس وهو ابن عم الملك ارسطوليس وغنمنا الله تعالى خيولهم واسلابهم وسلاحهم وما كان معهم من مال ودواب وبغال ونحن الآن يا امير المؤمنين فى بحر يتلاطم أمواجه من كثرة العدو فانجدنا يا أمير المؤمنين وادركنا بعسكر من المسلمين ليعيننا على قتال المشركين والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب وختمه وسلمه الى عبد الله بن قرط الازدى وامره بالمسير الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فركب

عبد الله بن قرط مطيته وسار يجد السير ليلا ونهارا حتى ورد مدينة يثرب فأناخ
مطيته على باب المسجد وعقلها بفاضل زمامها ودخل وحياه بركعتين واقبل الى قبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلم عليه واذا امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى
الله عنه عند القبر الشريف قال عبد الله فسلمت على قبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم أقبلت الى عمر وسلمت عليه فرد على السلام ونظر الى طويلا فحققنى فلما
عرفنى قال عبد الله قلت نعم يا أمير المؤمنين قال مرحبا بك فقبلت يده وسلمت
الكتاب اليه فقال من اين أتيت يا عبد الله قلت يا أمير المؤمنين من مصر
من عند عاملك عمرو بن العاص قال مرحبا بك يا ابن قرط ثم فض الكتاب وقرأه
فلما أتى على آخره قال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قال من ترك
الحزم وراء ظهره تباعدت عنه فسيحات الخطا والله ما علمت عمروا الا حازم الرأى
مليح التدبير ضابطا للامر حسن السياسة ولكن اذا اتى القضى عمى البصر ثم
كتب من ساعته كتابا الى أمير جيوش المسلمين بالشام ابى عبيدة بن الجراح
وذكر فى الكتاب ما جرى لعمرو بن العاص وأمره ان ينفذ له جيشا عرمرما ونفذ
الكتاب مع سالم مولى ابى عبيدة قال عبد الله بن قرط وأقمت فى المدينة يومين
واستأذنت عمر رضى الله عنه فى المسير فزودنى من بيت مال المسلمين وكتب كتابا
الى عمرو بن العاص رضى الله عنه يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عمر بن الخطاب
الى عمرو بن العاص سلام الله عليك فانى احمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى
على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد وصلنى كتابك وقرأته وعلمت ما قد جرى
عليكم من عدوكم وغدره لكم فذلك لما سبق فى أم الكتاب وكان يجب عليك يا ابن
العاص أن لا تطمئن الى عدوكم ولا تسمع له كلاما وما أعرفك يا ابن العاص الا حسن
الرأى والتدبير ولكن ليقضى الله امرا كان مفعولا فاستعمل النشاط فى امرك
ولا تتوانا فى مصالح المسلمين واعلم ان كل راع مسئول عن رعيته فدبر امرك
ولا تأمن عدوك واستعمل الحذر فان امامك والله ما بات الا على حذر ولا كذب
خبر والله يعيننا واياك على طاعته وقد نفذت الى أمين هذه الأمة ابى عبيدة
عامر بن الجراح ليسير اليك جيشا والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين
ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب وختمه وسلمه الى عبد الله بن قرط وامره
بالمسير قال عبد الله فاخذت الكتاب وركبت مطيتى وسرت ليلا ونهارا
فكنت بعد عشرة ايام فى مصر فاقبلت الى عمرو بن العاص وسلمت عليه وناولته
كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ففضه وقرأه سرا وفرح به

ثم قرأه جهراً على المسلمين ففرح المسلمون بما فى الكتاب من ذكر النجدة **وأقام** عمرو ابن العاص ينتظر قدوم النجدة من أبى عبيدة عامر بن الجراح رضى الله عنه **قال** صاحب الحديث رحمة الله عليه حدثنى سهل بن عبد الرزاق قرأت عليه بمسراس قال لما كبس جيش ارسطوليس عسكر المسلمين وهم فى صلاتهم يوم الجمعة ودارت دائرة السوء على الكافرين وقتل ماسيوس بن عم الملك ارسطوليس وقتل جنده الاربعة ألف فارس ولم ينج منهم أحد وهلكوا عن آخرهم غضب وحلف يميناً بما يعتقده من دينه لابد أن يأخذ بثاره من المسلمين فامر حجابه ان يجمعوا أمراء دولته وعظماء بطارقته الى الكنيسة المعلقة التى فى قصر الشمع **قال** فلما فعلوا ذلك وجمعوهم الى الكنيسة ونصبوا الى الملك كرسى فجلس عليه ثم قام فيهم خطيباً وقال يا أهل دين النصرانية وبنى ماء المعمودية اعلموا ان ملككم ملك عقيم وبلدكم بلد عظيم وهو بلد الفراعنة وهى دار ملكها الملوك الاكابر من قبلكم من آل حمير مثل منيسمات والبيسق والجليان وهو مانى هذه الاهرام وهريد ابن عيسان وشداد بن عاد ولقمان بن عاد وشديد بن عاد والقرنين وهو الملك العضيب وانقضى ملكهم منها ومضى زمانهم ورجع الملك الى يد غيرهم من ارض سبا وبلاد اليمن وحضرموت وقصر عمران ثم تولى ملك هذه الأرض القبط من ابائهم واجدادهم اسطليس وسيلوس والريان بن الوليد استخلص يوسف ثم الوليد الثانى وهو افيطيس المكنى بفرعون الذى اهلكه الله على يد موسى بن عمران ثم طيماوس ثم جدى واعيل ثم ابى المقوقس وما احد من ملك الارض الا ويحسدنا على ملك مصر وهؤلاء العرب طماعة وقد طمعوا فينا واتوا الينا يريدون ان يملكوا بلادنا ويخرجونا من أرضنا كما طمعوا فى ملك الشام وانتزعوه من ايدى القياصرة وقتلوا ابطالهم ونهبوا أموالهم واستعبدوا حريمهم واولادهم فاذا انتم غفلتم عن قتالهم طمعوا فيكم وقتلوا ابطالكم ونهبوا أموالكم واستعبدوا حريمكم واولادكم وسكنوا قصوركم ودياركم وجعلوا بيعكم لهم جوامع والآن فان الملك المقوقس قد امرنى بقتال هؤلاء العرب وقال انه لا يظهر من خلوته حتى يرى ما يكون من امركم وأمرهم **فما** قولكم وما الذى اجتمع عليه رأيكم **قالوا** أيها الملك اما نحن عبيد هذه الدولة لانها استعبدت رقابنا بفضلها ونعمتها علينا دائمة والآن نحن نقاتل عنها لمحبتنا اياها فلعل ان يرزقنا المسيح النصر على عدونا او نموت على سيف واحد **قال** فشكرهم الملك قولهم وخلع عليهم وقال اخرجوا الآن واضربوا خيامكم

ومضاربكم

ومصنا ربكم ظاهر المدينة وطاولوا القوم بالمبارزة الى ان يأتينا النجدة من النوبة
ومن ملك البجاه فقالوا نعم ما قلت أيها الملك ثم خرجوا من عنده وأمروا غلمانهم
ان يخرجوا بخيامهم والسرادقات ويضربوها مما يلي النور والرصد ففعلوا ذلك
قال محمد بن اسحاق الاموى وفي يومهم ذلك الذى خرجوا فيه جاء رسول الملك
الذى أرسله الملك ارسطوليس الى النوبة والى ملك البجاه في طلب النجدة وأخبر بأنه
وقع بين النوبة والبجاه واختلفوا واذا حدثهم لايبعث للملك ارسطوليس نجدة فصعب عليه ذلك وضرب
القبط خيامها وسرادقاتها حول سرادق الملك قال فلما نظر المسلمون الى القبط وقد
خرجوا وضربوا خيامهم وسرادقاتهم اخذوا على أنفسهم وتأهبوا القتال عدوهم
وأيقظوا انفسهم وقاموا لهم الحراس بالنوبة خوفا وحذرا من غدر القوم وان
يتم لهم عليهم كما تم في النوبة الاولى من الكبسة قال فأول من تولى الحرس كان
الامير عمرو بن العاص رضي الله عنه اول ليلة بنفسه في جماعة من المسلمين وجعل
يطوف حول الجيش الى آخر الليل قال ولم يزل المسلمون على ذلك وهم محترزون
من عدوهم حذرين والانوار تتلالا على عسكرهم واصواتهم عالية بالتهليل والتكبير
والصلاة على البشير النذير ليلهم ونهارهم بالنوبة قال صاحب الحديث رحمة
الله عليه هذا ما كان من القبط وعسكر المسلمين قال ووصل كتاب امير المؤمنين
عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى ابي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه ففضه
وقرأه وفهم ما فيه فعند ذلك اقبل على خالد بن الوليد رضي الله عنه وقال
يا أبا سليمان ما ترى من الراى هذا كتاب أمير المؤمنين قد وصل الى يأمرني أن
أنجد عمرو بن العاص بعسكر عرمرم فقال خالد ان كان أمير المؤمنين قد أمرك
بأن تنجد عمرو بن العاص فانجده قال ابو عبيدة يا أبا سليمان اعلم ان طريق مصر
شاقة بعيدة ومعطشة فان انا بعثت جيشا عرمرما خفت عليه الهلاك
قال خالد كم قد عزمت أيها الامير ان تبعث قال ابو عبيدة أربعة الف فارس
فقال خالد ان عزمت على ذلك فابعث أربعة من المسلمين فهم مقام
الاربعة ألف فارس فقال أبو عبيدة من الاربعة يا أبا سليمان قال خالد بن
الوليد انا احدهم والمقداد بن الاسود الكندى وعمار بن ياسر الكندى ومالك
ابن الاشتر النخعى قال فلما سمع ابو عبيدة ذلك من خالد تهلل وجهه فرحا وقال
يا ابا سليمان افعل ما تراه من رأيك فان رأيك مبارك قال فدعاهم خالد
واعلمهم بما قد عزم عليه فقالوا سمعا وطاعة لله ولرسوله قال خالد فخذوا
أهبتكم وتهيأوا للمسير قال فلما انقضى النهار وأقبل الليل وصلى ابو عبيدة

صلاة المغرب بالمسلمين فاقبلوا الثلاثة الى خالد رضي الله عنه واذا هو أيضا قد أخذ أهبته وهو واقف على باب قبته فركب خالد وساروا جميعا رضي الله عنهم الى خيمة أبي عبيدة رضي الله عنه فخرج اليهم وسلم عليهم وودعوه واخذوا معهم دليلا يدلهم على طريق الشوبك ووادي موسى وساروا يريدون مصر ولم يزالوا يجدوا السير حتى قربوا من عقبة ايلة واذا هم بخيل ومطايا تزيد على الف فارس وراكب مطايا فأسرع اليهم خالد ورفقته وسلموا عليهم فردوا عليهم السلام فسألهم خالد عن أمرهم ومسيرهم ومن أين والى أين فأخبروه انهم من ثقيف وطي ومرداس وقد وجههم عمر بن الخطاب الى مصر مع رفاعة بن قيس وبشار بن عوف نجدة لعمرو بن العاص ففرح خالد بهم وشكرهم فعلهم وفرح القوم أيضا بخالد ورفاقه وساروا جميعا وخالد أيضا يحدثهم بانهم أيضا سائرون نجدة لعمرو بن العاص ففرح العرب بخالد واستبركوا بطريقهم **قال** صاحب الحديث رحمه الله تعالى حدثني يوسف بن يحيى قال اخبرنا دارم بن عدي قال وحدثني نصر بن ثابت قال كنت في جملة الوفد الذي وجهه أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنهم مع رفاعة بن قيس ومع بشار بن عوف والتقينا بخالد وأصحابه عند عقبة ايلة وسرنا جميعا نريد مصر **فلما** قربنا منها وبقي بيننا وبينها يومان **فبينما** نحن نسير ذات ليلة وكانت ليلة مظلمة لا يكاد الرجل ينظر كفه ولا يتبين له صاحبه من شدة الظلام اذ سمعنا حسا وهو بعيد منا فوقفنا نستمع على الحس **قال نصر** بن ثابت وكنت راكبا على راحلتي فنفرت عن ظهرها الى الارض وسلمت الراحلة لرفاقي وسرت على قدمي اريد الحس واخفيت نفسي الى ان قربت من الحس فاذا أنا بجيش كثير خيل ومطايا فطلبت الارض وتحققت القوم فاذا هم جيش من العرب المتنصرة يزيدون على ثلاثة الف فارس خيل وراكب فجعلت استمع عليهم ما يقولون لاتحقق أمرهم فما مشيت معهم الا مقدارا يسيرا حتى سمعتهم يقولون أذل الله عدوكم يا قوم قد أصابنا التعب ولحقنا الجهد من يوم خرجنا من مدينتنا لم نجد احدا في طريقنا ومصر قد قربنا ها فانزلوا بنا نأخذ راحة ونريح خيلنا ونعلق عليها وترعى ابلنا فقد اضر بهم السير والجوع فقال رجل منهم وهو مقدم القوم وحق المسيح انا ما اتعبنا انفسنا الا في طلب الراحة والمال من الملك ارسطوليس ولكن اذا عولتم على الراحة فانزلوا وباتوا ليلتكم وعند الصباح ارحلوا **قال** نصر بن ثابت فنزل القوم على ما يعرف بالغوير واقبلوا يجمعون الشيح وغيره

ليصنعوا لهم زادا وعلقوا على خيلهم وسرحوا ابلهم ترعى قال نصر فلما تحققت أمرهم وعلمت خبرهم وعلمت انهم من متنصرة العرب من غسان ولخم وجذام وعاملة فعند ذلك عطفت راجعا الى اصحابي واخبرت خالدا بهم واخبرتهم بامرهم وما سمعت من حديثهم ففرح فرحا شديدا وحمد الله تعالى وشكره كثيرا قال واقبل قيس بن رفاعة وبشار بن عوف على خالد وقالوا ايها الأمير انا نرى من الرأى ان نترك القوم حتى يناموا ويأخذوا الراحة لأنفسهم ونسير اليهم على حين غفلة منهم ونكبسهم فلا ينجو منهم احد قال فاستصوب خالد رأيهم وقال نعم ما قلتم قال فعند ذلك أقبل رفاعة بن قيس وبشار بن عوف على أصحابهما وامروهم باخذ الاهبة وان يلبسوا سلاحهم ويركبوا خيولهم ففعلوا ذلك وأمروا عبيدهم بحفظ الابل والرحال ووقف المسلمون ينتظرون نار المشركين ان تخمد ويثقلوا فى نومهم ويكبسوا عليهم وأوصى بعضهم لبعض أن يحترزوا ان لا يفلت منهم احد فيصل الى ارسطوليس ويخبره بخبرهم فيحترز منهم قال صاحب الحديث رحمه الله تعالى فوقف المسلمون على ما اشتوروا عليه الى ان خمدت نار القوم وثقلوا فى نومهم واختفى حسهم ففعلوا ذلك منهم وتسللوا اليهم تسلل القطا الى أن صاروا فى مقابلتهم فلم يروا لهم حسا ولا حركة فعند ذلك هجموا عليهم وداربهم المسلمون كدوران البياض بسواد العين وهجموا عليهم ووضعوا السيوف فيهم فثار القوم من مراقدهم وقاموا وهوس النوم فى أعينهم وقد حارت قلوبهم وذهشت عقولهم وأشهروا سيوفهم وجعل يقتل بعضهم بعضا فى ظلام الليل قال ووقف رفاعة بن قيس وبشار بن عوف بجماعة من اصحابهم وخالد بن الوليد وجعلوا يرقبوا القوم فمن خرج منهم يريد النجاة لنفسه يقبضوا عليه ويأخذوا اسيرا ويوثقوه رباطا قال نصر فاستبرينا القتلى منهم فاذا هم الف قتيل والبقايا أسرى والأسرى قريب من الألفين فقبض خالد على الاكابر الذين قبضهم وقال لهم اخبرونى خبركم والى اين كان قصدكم قالوا نحن قوم من متنصرة العرب من بنى عم جبلة بن الايهم قال والى اين كنتم تريدون قالوا كنا ببلاد الشام فلما ملكتم البلاد وهزمتم هرقل وسار بحريمه وخزائنه الى القسطنطينية وهرب ايضا جبلة بن الايهم ببنى عمه واكابر قومه وقصد البحر وركب المراكب وساروا فى البحر الى الجزائر وطلبنا نحن مدين خوفا منكم والقاعدين وكاتبنا الملك المقوقس صاحب مصر لنكون من جنده وننصره على عدوه ويأذن لنا بالمسير اليه فابى ولم يفعل فبعثنا بالخيل والهدايا الى والى عهده وصاحب الأمر من بعده ولده

ارسطوليس وقلنا نحب ان نكون من اصحابك وجندك ونعيش في ظلالك فلما وصلت اليه هدايانا وقرا كتابنا بعث الينا بالخلع السنية وامرنا بالمسير اليه فسرنا نريد مصر فوقعتم علينا وتحكمت سيوفكم فينا **قال** فتبسم خالد ضاحكا وقال من حفر لمسلم قليبا القاه الله فيه قريبا **ثم** اعرض عليهم الاسلام فأبوا فامر بضرب رقابهم **قال** نصر بن ثابت وحزنا خيلهم وابلهم وسلاحهم واسلابهم وما كان معهم من مال واثاث وزاد واخذنا الخلع التي بعثها لهم الملك ارسطوليس لمقدميهم واكابرهم واذا فيها خلعة سنية كانت لمقدمهم الكبير فاعطاها خالد رضي الله عنه لرفاعة بن قيس **وسرنا** نريد مصر نهارنا ذلك الى ان قرب العصر اذ لاح لنا دير هنالك يعرف بدير مرقش وكان ديرا عامرا برهبان **قال** نصر بن ثابت فقصدناه ونزلنا حوله فأشرف علينا اهله وقالوا لنا ايها العرب من انتم قلنا من اصحاب الملك هرقل من عرب الشأم من اصحاب جبلة بن الايهم الغساني وقد جئنا نريد نصرة الملك ارسطوليس لانه بعث الينا رسله بالخلع والأموال وأمرنا بالمسير اليه لننصره على هؤلاء العرب المجهدين **قال** نصر بن ثابت ففرحوا بنا ودعوا لنا قال نصر فنظر الينا بطركهم الكبير وكان من قسوس الشأم قسا كبيرا عالما خبيرا وكان اعرف الناس بآل غسان لأنه كان من قسوس الشأم وربي في الشأم **وكان الملك** هرقل قد قطع القبية للايهم بن جبلة فولى الايهم ولده لهذا القس بوليس بن لوقا على جباية القبيحة **فلما** فتح المسلمون بعلبك وحمص هرب هذا القس بوليس الى مصر ابلس الى مصر فلما دخل مصر بلغ خبره الى الملك المقوقس فاستحضره فلما حضر بين يديه سأله عن حاله فحدثه بأمره فخلع عليه المقوقس وجعله قيما للكنيسة المعلقة بقصر الشمع فاقام بها وصار في منزلة الباييوس لكثرة علمه وخبرته والباييوس عند القبط هو البترك الكبير **قال صاحب الحديث** رحمة الله تعالى عليه فلما سار المسلمون الى مصر يريدون استملاكها ومحاربة ملكها قبل استهلال رمضان ودخل الملك المقوقس الى دار خلوته التي استحسنها لنفسه وجلس ولده على كرسي ملكه لانه ولي عهده من بعده احتاج الى من ينتفع برأيه ومشورته فعند ذلك بعث رسوله الى دير برقش واستحضر بطركها الكبير المسمى بالباييوس فلما حضر بين يديه أقبل عليه واستشاره في امور عرضها عليه واشتوروه في الكنيسة المعلقة بقصر الشمع وبعث بهذا القس اللعين بوليس بن لوقا الى دير مرقش فأقام به الى ان نزلت العرب

المسلمون حول الدير ورجعنا الى الحديث قال نصر بن ثابت فلما نزلنا أشرف علينا ونظر الينا وكان اعرف الناس بخالد بن الوليد رضي الله عنه لأنه رآه في مواطن كثيرة في الشام وكان هربيس صاحب حمص ايضا قد بعثه رسولا الى ابي عبيدة رضي الله عنه حين نزل المسلمون عليه قبل فتحها في المرة الاولى قال نصر فجعل الملعون يميز وجوهنا وينظر الى لباسنا وقال من اى العرب أنتم وكان الملعون فصيح اللسان بالعربية فقلنا نحن من العرب المتنصرة من الشام من أصحاب هرقل وقد أتينا النصرة صاحبكم نقاتل أعداءه وقد بعث الينا رسله بالخلع والأموال والاكرام واستنجد بنا فقال وحق المسيح ما انتم من غسان ولا من متنصرة العرب بل انتم من عرب الحجاز وما خرجتم انتم من بلادكم الا هذه الكرة وما حضرتم الشام ولا قتاله يقول اللعين لأصحاب رفاعة بن قيس وكيف يشبه زيكم زى غسان وكانوا ملوك الشام وشاركوا الروم في زيهم ولبسوا ثياب الأطلس والديباج وركبوا الخيل بالسروج المرصعة وقادوا الجنائب المبرقعة ورفعوا على رؤسهم صلبان الذهب والفضة ولاشك انكم انتم من العرب المهديين وقد جئتم بخيلكم لتنصبوا على الملك ارسطوليس لتملكوا بلاده كما فعلتم بملوك الشام وزعمتم ملكهم من ايديهم وقتلتم البطارقة والمراقلة وانى ارى بينكم الذى فتح الشام ودمر أهله وقتل أبطاله وبطارقته وهزم ملوكه وسوف اكاتب الملك ارسطوليس واعلمه بقصتكم واخبره بخبركم ليقبض عليكم قال عامر بن هبار فقلت ما عندنا مما تقول خبر وقد خيل لك ذلك اما علمت ان المسلمين ما تركوا لنا شيئاً مما تقول الا نهبوه وقد اصبحنا بعد العز في الذل وبعد الغنا في الفقر وقد كاتبنا الملك ارسطوليس ان نقدم عليه ونكون من جنده ونقاتل عدوه وقد نفذ الينا الخلع وطيب قلوبنا قال عامر فضحك اللعين من قولى وقال ان جماعة غسان اكثرهم يعرفون بلغة الروم فمن فيكم يكلمني بها فقلنا انا لا نعرف غير لغتنا فقال اللعين وحق ديني ما انتم من غسان وقد صح الآن قولى عنكم وانتم من اصحاب محمد فقلنا يا ويلك لو كنا مما ذكرت ما كنا نجسر ان نظهر نهارا بل كنا نكمن نهارا ونسير ليلا ولكن استغفر المسيح اذ جعلتنا أمة من اصحاب محمد فهذا ذنب عظيم ثم تركنا ولا يكلمنا فقال له رهبان الدير يا ابانا لو ان القوم ممن ذكرت ما دخلوا ارض مصر في ضوء النهار ولا عبروا في السمارة فقال وحق ديني انى أعرف الناس بهم وهؤلاء القوم من اصحاب محمد فاستنيموا منهم ولا تخرجوا لهم طعاما ولا غيره وسوف

انفذ الى الملك واخبره بشانكم ليكون على حذر منكم قال عامر بن هبار وكان من
لطف الله تعالى بنا وكرمه علينا ان الرهبان لما سمعوا بولس قال بعضهم لبعض
ان كان قد عرفهم القس معرفة حقيقة فيجب علينا ان نعقد لنا منهم صلحا
فنكون آمنين من نائلتهم فى ديرنا فقال راهب منهم كبير خبير بالامور صاحب
علم وعقل ان فعلتم ذلك رشدتم ولكن لا ندرى لمن تكون الدايرة ومن ينصر من
الفريقين فان كان النصر لصاحبنا نخاف من هذا القس اللعين ان يعلم بنا الملك
فيقتلنا وهذا اللعين على غير مذهبنا وفى كل يوم يكفرنا لانه نسطورى ونحن
يعاقبة فان عزمتم على مصالحة هؤلاء القوم وتأخذوا الكرم منهم امانا فامسكوا
هذا اللعين وسلموه اليهم يفعلوا به ما يريدون وصالحوا القوم فان كان النصر
لهم فذلك الذى اردتم وان كان لصاحبنا فنكون قد خلصنا منه والملك لا يعلم
بامرنا قال فاستصوبوا رأى الراهب واتفقوا على قبض القس وهو لا يعلم
ثم مالوا عليه وقبضوه وشدوه كتافا واشرفوا على العرب وقالوا بحق من تعتقدونه
وتشيرون اليه من دينكم انتم من اصحاب محمد ام لا فانا قد قبضنا على القس ونريد
ان نسلمه اليكم ونصالحكم ونأخذ لنا منكم عهدا واما نحن فقوم لا نعرف
الحرب ولا له خلقنا فقال مالك الاشتر النخعى يا هؤلاء اما ما زعمتم من صلحنا
فنحن ما كنا بالذى نخفى امرنا منكم ولا نرضى بالكذب لانه اشنع شئ عندنا
ولا سيما ان الاسلام يمنعنا من استعماله واتباعه ولو ان السيوف على رأس احدنا
وسئل عن دينه اباح به ونحن من اصحاب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكم
الامان امان الله ورسوله فلما سمع الرهبان ذلك من مالك نزلوا وفتحوا الباب
الذى للدير واخرجوا القس بولس وسلموه اليهم فقال خالد يا عدو الله اردت
بنا امرا واراد الله عز وجل غير ذلك ثم عرض عليه الاسلام فابى وقال هربت
من الشام الى ارض مصر او فتنى المسيح فى ايديكم لست اشك ان المسيح مسلم وانا
كافر بدينكم ولكن المسيح يخلص حقى من هؤلاء الرهبان قال فضرب خالد
عنقه قال عامر بن هبار واخرج لنا الرهبان من ديرهم الطعام والعلوفة فاكلنا
وعلفنا على خيلنا واقمنا عندهم الى الليل فقال الراهب الكبير الذى اشار على
الرهبان بالقبض على القس بولس بن لوقا لخالد ايها الامير انى تفرست فيك
الشجاعة والبراعة اما انت من اصحاب محمد قال نعم انا خالد بن الوليد المخزومى
فقال الراهب وحق دينى انت الذى فتحت الشام وذللت الملوك والبطارقة
وان صفتك عندى ثم دخل ديره وغاب غير بعيد واقبل ومعه السفط ففتحه

واخرج منه كتابا كبيرا واذا بين اوراق الكتاب صفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصورته وصورة ابي عبيدة رضي الله عنه وصورة خالد بن الوليد رضي الله عنه والسيف بيده مشهور ثم قال لخالد أيها الأمير ما زلت اتوقعكم واسمع اخباركم كلها الى ان دخلتم الشام وفتحت بعض بلاد الشام وأنت الامير فلما عزلك وولى غيرك عجبت لذلك وخبرك عندنا انك تكون فاتح البلاد فما السبب في ذلك **قال خالد** اعلم أيها الراهب ان عمر هو الامام والخليفة ومهما امرنا به امتثلنا وامره مطاع فينا فان نرجع عنه وبذلك امرنا الله عز وجل في كتابه العزيز اذ يقول يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولى الأمر منكم فطاعته علينا فرض وانه يحكم بالعدل ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهو على ما فتح من الفتوح وما جمعنا له من الأموال لم يزل امره مشكورا ولم يزل على زهده على التراب ولباسه المرقعة ويمشي في الأسواق راجلا تواضعا لله لباسه التقوى وأساسه الذكر وشعاره العدل في الرعية يعطف على اليتيم ويرفق بالأرملة والمسكين ويرفد ابناء السبيل شديد في دين الله غليظ على من كفر بالله قائم بشرائع الله لا يستحي من الحق ولا يداهن في الخلق **قال** اكانت هذه الهيبة له على عهد نبيكم قال نعم ولقد سمعت سعد بن وقاص يقول استاذن عمر يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من القرشيات يكلمنه ويشتكين اليه عاليات رافعات أصواتهن فلما اذن لعمر بالدخول ابتدرن النسوة بالحجاب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه أضحك الله سنك يا رسول الله قال عجبت يا عمر من هؤلاء اللواتي ابتدرن للحجاب خوفا منك قال عمر فانت يا رسول الله أحق ان يهبنك ثم قال لهن عمر يا عدوات انفسهن تهبنني ولا تهبن رسول الله فقلن نعم انت أفظ واغلظ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده يا عمر ما لقيك الشيطان يوما سالكا فجا الا سلك فجا غيره **قال** فلما سمع الراهب ذلك قال صلاة نبيكم وبركته ورسالته عادت على امامكم وعليكم فقال له خالد فما الذي يمنعك من الدخول في ديننا قال حتى يشاء رب السموات والأرض **قال خالد** اريد منك ان تخرج لنا صلبان ديركم وزنانيركم **قال** فاخرج صليب المذبح وكان صليبا كبيرا من الفضة وصلبانا ايضا كثيرة صغارا من فضة وزنانير فاخذها خالد وسلمها لرافع بن قيس وبشار بن عوف **قال** فاخذوها وتزايا المسلمون بزي العرب المتنصرة الذين قتلوهم في طريقهم وباتوا ليلتهم على الدير **فلما** أصبح الصباح ارتحل خالد بأصحابه ببداد ووكل بالدير عشرة

رجال من اهل وادي القرى لئلا يخرج منهم أحد ويسير الى الملك ويخبره بأمرهم قال ورحل خالد من الدير بأصحابه وقد تزيوا بزي المتنصرة وشدوا الزنانير على اوساطهم ورفعوا الصلبان على رؤسهم وساروا يريدون مصر وبينهم وبينها ذلك النهار قال وأقبل خالد بن الوليد رضي الله عنه على نصر بن ثابت وقال له يا نصر امض انت الى الملك أرسطوليس وبشره بقدومنا وقل له ان العرب المتنصرة قد أتت الى نصرتك قال فمضى نصر بن ثابت مسرعا حتى قرب من عسكر القبط قال نصر فلما أشرفت على عسكر القبط بادروا الي وقالوا من انت قال نصر قلت انا رسول العرب المتنصرة قد جئت مبشرا للملك ارسطوليس بقدوم العرب المتنصرة الى خدمته قال فاخذوا نصرا وأتوا به الى الملك ارسطوليس واستأذنوا عليه وأذن لهم فلما دخل نصر الى الملك وقف بين يديه فزعقت عليه الحجاب ان عظم مجلس الملك بالسجود قال نصر والله ما التفت الى صياحهم وهممت ان لا اسجد ولكن خفت ان تنفر قلوب القوم مني ولا يتم لنا ما نريد وانهم ايضا قد صح عندهم انه من كان من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا يسجد لملك من ملوك الارض ممن يكفر بالله فقلت في نفسي اعقد النية لله واسجد لرب العالمين وكنت قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاعمال بالنيات ولكل امرء ما نوى قال نصر فسجدت لله رب العالمين فلما رفعت رأسي من السجود قال لي وزير الملك يا أخا العرب وصل اصحابك قلت نعم وها هم في ذيل الجبل المقطم قال فلما سمع الوزير ذلك أمر الحجاب والاكابر ان يخرجوا الى لقاء العرب قال فركب القبط في زينتهم وقادوا المماليك الجنايب بين ايديهم بالزينة الفاخرة والسروج المرصعة بفصوص الجواهر واللجم المحلاة بالذهب والبراقع المحبوكة باللؤلؤ وركب معهم مقدم الجيش ارسلاوس القبطي قال وخلع الملك ارسطوليس على نصر بن ثابت اذ هو جاء بالبشارة وسار القوم الى لقاء العرب وهم يظنون انهم المتنصرة ولم يعلموا ما جرت به المقادير هذا ما كان من نصر بن ثابت وخروج القبط الى لقاء العرب واما ما كان من خالد بن الوليد رضي الله عنه فانه سار باصحابه حتى وصل الى الجبل المقطم قال ابن اسحاق وحدثني عسكر بن حسان عن رفاعة بن اوس عن موسى بن عوف عن جده نعيم بن مرة قال كنت في من وجهه عمر بن الخطاب رضي الله عنه من اهل وادي القرى ووادي نخلة وكان خالد يحبني ويقربني لان ابي كان شريكا للعاص بن وائل السهمي وكان يسافر له بالبضائع الى سوق بصرى فلما علم خالد بن الوليد رضي الله عنه ان القبط اصحاب ارسطوليس يخرجوا الى استقبالهم خاف على قلوب المسلمين

ان تتشوش لأجل ذلك اذا نظروا اليهم وخاف أيضا على عمرو بن العاص ان يسوءهم
فأقبل الى وقال لى يا ابن مرة انى أريد أحدثك بشئ فافهمه منى قلت وما ذلك يا أبا
سليمان قال اعلم ان عمرو بن العاص واصحابه اذا رأونا قد أقبلنا فى زى المتنصرة
والصلبان على رؤسنا والقبط قد ركبوا لاستقبالنا تتشوش قلوبهم منا ولكن أريد
منك ان تنزل عن جوادك وتعطيه لعبدك وتكمن خلف هذه الحجارة فاذا نفذنا نحو عنك
وابعدنا وخلا لك الوقت تسلل واقصد عسكر المسلمين وامض الى عمرو بن العاص
وحدثه بأمرنا وما قد عزمنا عليه من غدر القوم ليطمئن قلبه ويكون على اهبة من أمره
فان عمرا لا يطمئن الى غيرك لانه يثبت معرفتك واقرئه منى السلام وقل له يكون على
اهبة من أمره وعسكره فاذا سمعوا تكبيرنا فى جيش القبط يرفعوا أصواتهم بالتهليل
والتكبير ويحملوا على القوم قال نعيم فقلت السمع والطاعة ثم ترجلت من جوادى
وسلمته لعبدى دارم وتوجهت نحو الجبل وجلست خلف حجر كبير قال نعيم وسار
خالد بن الوليد رضى الله عنه بأصحابه وقد تزيوا بزى العرب المتنصرة ولبسوا الخلع التى
بعث بها الملك ارسطوليس للمتنصرة ولبس رفاعة بن قيس وبشار بن عوف الخلعتين
اللتين بعثت برسم المقدمين ورفعوا الصلبان فوق رؤسهم ونشروا اعلام
المتنصرة ورفعوا اصلبان الذهب والفضة التى اخذوها من دير الرهبان وغير أيضا
خالد بن الوليد رضى الله عنه زيه وكذلك المقداد وعمار بن ياسر ومالك بن الاشتر
فبينما هم سائرون اذ أقبل عليهم جيش القبط ومقدم الجيش ارسلاوس
وحجاب الملك قال فأقبل رفاعة بن قيس وبشار بن عوف على أصحابهما وقالوا لهم
ترجلوا واصطفوا بين ايديهم فليس عليكم فى ذلك تبعات واحلفوا بالمسيح والسيدة
مريم ولا يغلط منكم احد فيذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيفطن القوم بنا واجعلوا
همكم نصب اعينكم واتكلوا على الله فى أموركم قال ففعل القوم ما امرهم به
مقدموهم وتقدموا وصفقوا للحجاب ولمقدم الجيش ارسلاوس ودعوا لهم فأقبل
الحجاب عليهم واكرموهم وأمروهم بالركوب فركبوا وساروا الى ان وصلوا الى السرادق
فأمرهم الحجاب بالنزول فنزلوا عن خيلهم ووقفوا بباب السرادق واستأذنوا الملك
عليهم فأذن بالدخول لمقدميهم واكابرهم فدخل رفاعة بن قيس وبشار بن عوف
ولم يدخل احد غيرهم ووقف خالد والمقداد وعمار ومالك على باب السرادق
وبقية العرب واصحابه **قال** فلما دخل رفاعة بن قيس وبشار بن عوف السرادق
حيوا وخدموا وصفقوا بين يدى الملك فأقبل عليهما ارسطوليس وقال معاشر
العرب انتم قد علمتم محبتنا لكم وتقربنا اليكم وقد استدعيناكم لتكونوا معنا

وتقاتلوا اعدآنا ونكون يدا واحدة على هؤلآء العرب المجهدين فان انتم نصحتم لنا وقاتلتم
اعدآنا وحاميتم عن دولتنا كنا لكم بعكسكم وقاسمناكم ملكنا وخولناكم في نعمتنا
قال رفاعة ابشر ايها الملك سوف ترى ما يسرك ونبذل بين يديك مجهودنا في قتال عدو
قال فشكرهم الملك وخلع على رفاعة بن قيس وبشار بن عوف خلعتين سنيتين
فلبسوهما على الخلع التي كانت عليهم لانهما دخلوا عليه بهما فلاجل ذلك اطمأن قلبه
لانه هو بعث بهما اليهما وتيقن بذلك انهم العرب المنتصرة قال صاحب الحديث
رحمه الله حدثني عامر بن أوس قال اخبرنا جرير بن صاعد قال حدثنا نوفل بن غانم
انه حدثه بهذا الحديث سهيل بن مسروق قال لما قدم خالد بن الوليد والمقداد وعمار بن
ياسر ومالك بن الاشتر ورفاعة بن قيس وبشار بن عوف وعسكرهم الذين وجه بهم
امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من اهل وادي القرى والطايف ووادي
نخلة وكان من امرهم ما ذكرنا واقبلوا الى عسكر الملك ارسطوليس والخلع على رفاعة
ابن قيس وبشار بن عوف والاعلام والصلبان على رؤسهم فجعلوا ينظرون
اليهم ويتعجبون من امرهم فقال معاذ بن جبل رضي الله عنه لعمرو بن العاص يا عمرو والله
ما هؤلاء من منتصرة العرب وان نفسي تأبى ذلك وانهم من اصحابنا واني نظرتهم
يوم دخلوا واحدا بعد واحد فرأيت فيهم زي وادي نخلة والطايف وزي وادي
القرى قال شرحبيل بن حسنة واحدثكم باعجب من ذلك اني رأيت خالد بن
الوليد في جملتهم ولاخت لي عمته وثيابه التي كانت عليه يوم دخل طرابلس قال
يزيد بن ابي سفيان والله وانا رأيت مالك الاشتر النخعي وعرفته بقامته وطول
ركابه وهو على السرج كانه البرج قال عمرو بن العاص رضي الله عنه سيكشف
لكم الخبر ان شاء الله تعالى قال وانقضى النهار واقبل الليل بالاعتكار
واذا قد اقبل نعيم بن مرة من الجبل يريد عسكر المسلمين وكان تلك الليلة قد تولى
الحرس سعيد بن زيد بن نفيل فلما نظروا الى شخص نعيم بن مرة مقبلا نحو عسكرهم
اقبلوا اليه مسرعين وقالوا من انت اوجز فقال انا نعيم بن مرة ثم سلم عليهم فلما
عرفوه رحبوا به وقالوا من اين أتيت قال فاخبرهم نعيم بالقضية فاخذ وابيده
واتوا به الى عمرو بن العاص قال نعيم فلما دخلت على عمرو بن العاص وهو في مضربه
فسلمت عليه فرد علي السلام وقال من الرجل قلت انا نعيم قال مرحبا يا نعيم اخبرني
خبرك يا ابن اخي اجلس قال نعيم فجلست بين يديه وحدثته بالحديث كله من أوله
الى آخره ففرح فرحا عظيما واستبشر بالنصر وسجد شكرا لله تعالى واستدعى لوقته
بمعاذ بن جبل وشرحبيل بن حسنة رضي الله عنهم فلما حضروا وجلسوا بين يديه

فاقبل

فاقبل عليهم وقال يا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا نعيم بن مرة قد أتى الي مخبرا بكذا وكذا وقال لنعيم بن مرة يا ابن اخي حدثهم واخبرهم بما اخبرتني به فحدثهم نعيم ايضا بالحديث من اوله الى آخره ففرحوا وسروا سرورا عظيما وقالوا انا نرجوا من الله عز وجل ان يكون ذلك سببا لنصرنا على أعدائنا ثم قال نعيم ايها الأمير اركب انت وأمر المسلمين والجيش بالركوب وكن على اهبة من امركم فاذا سمعتم التكبير من عسكر المسلمين قد علا ارفعوا أيضا اصواتكم بالتهليل والتكبير واحملوا على جيش العدو قال ابن اسحاق ولله سبحانه وتعالى في خلقه تدبير وذلك انه لما جن الليل جمع ارسطوليس الحجاب والأمرا وقال قد ضاق صدري من هؤلاء العرب ومقامهم علينا قد غلا السعر عندنا لانهم قد حكموا على اهل القرى والضياع وقد منعوا اهل البلاد ان يصلوا الينا بشيء من حواصل بلادهم وخيلهم أيضا تضرب الى الريف والصعيد من هذا الجانب وايضا ان اهل النوبة والبجاه ما نصرنا منهم احد وقد وقعت الفتنة بينهم واختلفوا والرأي عندي اننا نناجز هؤلاء العرب الحرب ويعطي المسيح النصر لمن يشاء فقال الحجاب والامرا افعل ايها الملك ما تريد فاننا لا نخالف لك امرا فقال ارسطوليس اخرجوا الآن وعرفوا الجند الى الحرب غدا وامروهم ان يلبسوا ويتأهبوا للحرب ولا تطلع الشمس الا وهم على ظهور الخيل لعلنا ان نغشى العرب على حين غفلة قال فخرج الحجاب لما امرهم به الملك وليس عند الملك خبر بما قد تم في قصر الشمع قال ابن اسحاق رضي الله عنه وكان من حسن تدبير الله لعباده المؤمنين انه كان للمقوقس أخ لابيه وأمه وكان اسمه ارجانوس وكان يحبه حبا شديدا ولا يقطع امرا دون مشورته وكانا يركبان جميعا وينزلان جميعا ولا يفترقان وكان ذلك من حبهما بعضهما بعضا وكان المقوقس قد دخل دار خلوته في شهر رمضان كما ذكرنا كعادته وجعل اخوه ارجانوس ينتظر خروجه اذا انسلخ الشهر فلما انسلخ الشهر ومضى والملك المقوقس لم يخرج فاستعظم ذلك وانكر امره واقبل الى دار خلوته يسأل القوم الذين هم مرتبون لخدمته فلم ير منهم احدا يسألهم عن أخيه وما سبب ابطائه عن الخروج فلم يجد منهم احدا واستنكر الأمر واقبل الى ولده وولي عهده ليسأله فوجده جالسا على سرير ابيه وحكمه نافذ في الدولة فانكر امره غاية الانكار واقبل الى الملك ارسطوليس وسأله عن ابيه وما سبب ابطائه فقال ان الملك قد رأى حاله ضعيفا مع هؤلاء العرب وقد أمرني ان اكون مكانه وأدبر الأمر بينه وبين العرب اما نصالحهم واما نقاتلهم قال فلما سمع ارجانوس ذلك من ارسطوليس سكت ولم يرد جوابا وكتم الأمر في نفسه وعلم ان ارسطوليس قد قتل اباه قال صاحب الحديث

رضي الله تعالى وكان أيضا ارجانوس أخو المقوقس يعتقد في نبوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعلم ان دعوته لابد ان تطبق مشارق الأرض ومغاربها وان الملوك
تضمحل في ايام اصحابه وانهم سيستولون على البلاد فخرج من عند ابن أخيه ولم يبد
ما في نفسه وارسطوليس قد عزم في غده ان يقاتل العرب فخرج ارجانوس من
عنده تحت الليل ومشى الى قصر الشمع واجتمع بمن ترك فيه ابن اخيه من اكابر دولته
ومن يعتمد عليهم في اموره وحفظه فلما دخل عليهم ارجانوس قال اعلموا
يا هؤلاء ان المستقل هو قول ابن آدم لأن الله تعالى قد خصه بذلك دون مخلوقاته
كلها وهذا المقوقس قد قتله ولده لامحالة رغبة في الدنيا وان كان مشفقا عليكم
ومريدا اليكم واعلموا ان هؤلاء العرب قد كان قدامهم ملك اعظم من ملككم وجنده
اكثر من جندكم فما لبثوا بين ايديهم وليس بين دولتكم وبين ان تزول وتضمحل
الا ان يلتقي الجيشان فان ظفرت بكم العرب قتلوكم ونهبوا اموالكم واستعبدوا
حريمكم واولادكم ويسكنوا مساكنكم كما فعلوا بغيركم قالوا ايها السيد فما
الرأي في ذلك قال الرأي ان تستيقظوا لأنفسكم وتغلقوا باب قصركم ولا
تدعوا احدا يدخل اليكم من جند الملك ولا هو بنفسه لأنه لا يقدر يقاتلكم والعرب
من ورائه وانه يعبر الى جانب الغرب ويسير الى الاسكندرية وانا بعد ذلك اعقب لكم
ولي صلحا من هؤلاء العرب ونأمن على انفسنا واموالنا وحريمنا وبعد ذلك من اراد
ان يتبعهم على دينهم فلا مانع لهم ومن اراد ان يستقيم على دينه ادى لهم الجزية
وصان بها دمه وماله وعياله وولده قال فلما سمعوا ذلك منه استصوبوا رأيه
وعلموا ان الحق معه قال وكان ارجانوس اخو المقوقس يركب في الف فارس من مماليكه
قال صاحب الحديث رحمه الله تعالى واحتوى ارجانوس على قصر الشمع وما فيه
من خزائن اموال وقماش وسلاح واثاث وارزاق وغلق باب القصر وصعد برجاله
على اعلا القصر وليس عند الملك ارسطوليس خبر ذلك قال واقبل بعض غلمان
ارسطوليس ممن كان قد وقف على هذا الأمر واخبره بما كان من امر عمه ارجانوس
فلما سمع ارسطوليس ذلك ايقن بذهاب ملكه وخروجه من يده وبقي في حيرة من
امره واراد ان يتوهم ويدخل الى القصر تحت الليل واذا بالتهليل والتكبير قد علا
من وسط العرب والعرب قد ثارت قال فلما سمع عمرو بن العاص رضي الله عنه التكبير
والتهليل قد علا في جيش القبط وكان ايضا ركب وركب جميع عسكره فعند
ذلك كبر عمرو بن العاص رضي الله عنه وكبر المسلمون وحملوا على عسكر القبط وعمل
السيف فيهم قال فلما نظر ارسطوليس الى ما نزل به من كبسة العرب وتحقق من

العرب الذين اتوا اليه بجدة في زى المتنصرة وصاروا في عسكره علم انها من مكايد العرب وانه ليس له بهم طاقة وركب في وقته وساعته وركبت حجابه وبطارقته ومماليكه وامراؤه وغلمانهم وحملوا الخزينة والاموال والاثقال وقدموا الجميع بين يديه وساروا خفية تحت الليل واخترقوا مصر ولم يزالوا حتى اتوا الى الجسر الاول وعبروه وساروا الى مريوط فنزل المرزبان الراقي عليها في ثلاثة الاف فارس وساروا يريدون الاسكندرية **قال** وصاح الصائح ان الملك ارسطوليس قد انهزم فما بقي من عسكره احد وولوا منهزمين والسيف يعمل فيهم ونصر الله عز وجل اصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم **قال** ابن اسحاق رضي الله عنه حدثني من أثق به انه قتل تلك الليلة من عسكر القبط خمسة الف فارس وغنم المسلمون خيامهم وما كان فيها من مال واثاث **فلما** أصبح الصباح اقبل خالد وعمار والمقداد ومالك الى عمرو بن العاص وسلموا عليه وعلى اصحابه وسلم المسلمون بعضهم على بعض واقبل رفاعة بن قيس وبشار بن عوف الى عمرو ابن العاص وسلموا عليه وعلى اصحابه فاقبل عليهم عمرو وسلم عليهم ورحب بهم ودعا لهم وشكرهم على فعلهم **قال** وحدث خالد بن الوليد لعمرو بن العاص ما كان من امرهم مع العرب المتنصرة وكيف اباد هم جميعهم وملكوا ما كان معهم من خيل وابل وسلاح وقماش وحدثه بحديث أهل الدير ورهبانه وقتل القس الكبير واخذهم الصلبان والزنانير وكيف دخلوا على ارسطوليس بالحيلة والخديعة ففرح عمرو بكلامه وشكر الله على ذلك ودعا لخالد بن الوليد وللمسلمين وارتحل من مجرى الحصا بعسكره وساروا حتى اقبلوا على مصر وملكوا دروبها ونزل خالد وعمار والمقداد ومالك بن الاشتر على قصر الشمع فاشرف عليهم ادجافوس بن راعيل اخو المقوقس وقال لهم بلسان العربية يا فتيان العرب اعلموا ان الله عز وجل امدكم بالنصر وملكتم البلاد واعلموا اني قد فعلت في حقكم من الخير كذا وكذا ولولا حيلتي التي عملتها على ابن اخي لما انهزم منكم والآن فنحن نصالحكم ونسلم اليكم هذا القصر على انكم لا تتعرضوا الى شيء من حولنا ولا تمدوا ايديكم الينا بسوء ومن اراد منا ان يدخل في دينكم فلا مانع له ومن اختار ان يبقى على دينه فلا مكره له ويؤدي الجزية **قال** فكلمه معاذ بن جبل رضي الله عنه وقال له اعلم ان الله عز وجل قد نصرنا على الكفار بصدق نياتنا وصالح اعمالنا واتباعنا الحق وانا ما قلنا قولا الا وصدقنا ولا عهدنا عهدا الا ووفينا بما عاهدنا وما استعملنا غدرا ولا مكرا ولكم الأمان على انفسكم واموالكم وحريمكم واولادكم ومن اسلم منكم ودخل في ديننا قبلناه ومن بقي على دينه فلن نكرهه وقنعنا منه بالجزية **قال** فلما سمع ادجافوس ومشايخ مصر ومقدموها

ذلك الكلام طابت قلوبهم ونزل ارجانوس وفتح باب القصر وخرج اليهم بالمفاتيح
وسلمها اليهم قال صاحب الحديث رحمه الله تعالى فاخذ خالد بن الوليد
اصحابه وارجانوس ومشايخ مصر ومقدميها وساروا بهم الى عمرو بن العاص واوقفوهم
بين يديه وقص عليه خالد امر الصلح وما اتفقوا عليه ففرح عمرو بذلك واقبل عليهم
وقال يا قوم اعلموا ان الله تعالى قد نصرنا عليكم وقد هزمنا ملككم وانتم الآن
في قبضتنا وتدعوتم عبيدا لنا لاننا فتحنا مدينتكم بالسيف فمن اسلم منكم قبلناه
ومن ابى استعبدناه لاننا ملكنا مدينتكم بالسيف وانتم الآن تحت قهرنا فقال
ارجانوس ايها الامير ما هكذا سمعنا عنكم فقال عمرو فما الذي سمعتم عنا فقال ارجانوس
سمعنا عنكم ان الله عز وجل اسكن الرحمة في قلوبكم وانكم تعفون عن من ظلمكم
وتحسنون الى من اساء اليكم وانتم تعلمون انا قوم رعايا مامور علينا ولو كان الامر
الينا لاتبعناكم فارفقوا الآن بنا وانظروا الى حالنا فقال عمرو للصحابة ما نصنع
في امر هؤلاء القوم فقال شرحبيل بن حسنة ايها الامير اصنع بهم ما امرك الله عز
وجل به من العدل واحسن اليهم وطيب قلوبهم فانك تملك غير هذه المدينة مما يسمع
عنك وتبلغ اهل المدن فيسلمون اليكم بلا حرب ولا مشاغرة قال وتكلم معاذ بن
جبل واكابر الصحابة وقالوا ايها الامير القول ما قاله شرحبيل فقال عمرو يا اهل
مصر قد امناكم على انفسكم واموالكم وحريمكم واولادكم منة منا عليكم وقد
منعت عنكم جزية هذه السنة وفي السنة الآتية اخذ منكم الجزية من كل واحد بلغ
الحلم اربعة دنانير ومن اسلم قبلناه قال فلما سمع ارجانوس كلام عمرو قال انصفت
والله بهذا نصرتم وقد وقفت الآن على صحة دينكم وانا قائل اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له وان محمدا عبده ورسوله وان كل ما ترك ابن اخي في قصر الشمع من خزاين اموال وقماش
وسلاح واثاث هدية مني اليكم جزاء بما فعلتم باهل بلدي قال فلما نظر اهل
مصر الى صاحبهم ارجانوس قد اسلم وآمن دخل اكثرهم في دين الاسلام قال
ثم عمد عمرو الى كنيستهم فجعلها جامعا وهو يعرف الى يومنا هذا بجامع عمرو بن
العاص قال صاحب الحديث رحمه الله تعالى ثم جمع عمرو الاموال التي اخذها
من خيام القبط المنهزمين واخرج منها الخمس لامير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي
الله عنه وفرق الباقي على المسلمين واعطى كل ذي حق حقه ثم كتب كتابا
الى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بفتح مصر وما كان من امرهم وبعث الكتاب
والخمس مع عليم بن سارية وسير معه مائة فارس وامرهم بالمسير الى المدينة قال
فساروا مجدين ليلا ونهارا الى ان وصلوا الى المدينة ودخل عليم بن سارية على امير

المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسلم عليه وناوله الكتاب قال فرد عليه السلام
وقبض الكتاب وقال من أين اقبلت قال يا أمير المؤمنين من مصر من عند عمرو بن العاص
قال ما اسمك قال يا امير المؤمنين اسمي علم بن سارية قال مرحبا بك يا علم ثم فض الكتاب
وقرأه سرا حتى اتى على اخره فسجد شكرا لله تعالى ثم رفع رأسه وقرأه جهرا على
المسلمين ففرحوا بذلك فرحا شديدا ورفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة
والسلام على البشير النذير ثم امر عمر برفع مال الخمس الى بيت مال المسلمين قال
صاحب الحديث ولقد بلغني عن الرواة ان علم بن سارية قد اقبل على امير المؤمنين
عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال يا امير المؤمنين عمرو بن العاص يسلم عليك
ويقول لك ان الكفار كانوا قد استسنوا سنة في نيلهم وذلك انهم كانوا اذا ابطأ
عليهم طلوع نيلهم يأخذوا جارية ويزينوها بأحسن زينة ويرموها في النيل فيأتي
الماء قال فلما سمع عمر ذلك كتب كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم
من عبد الله امير المؤمنين عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص سلام عليك فاني احمد الله
الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاذا وصلك كتابي هذا
فاطلب اعداء الله حيث كانوا من البلاد واياك ان تلين جانبك لهم وانظر في احوال
الرعية واعدل فيهم ما استطعت واطلب العفو من الله بالعفو عن الناس واجري
الناس على قوانينهم وقررهم واجبا في دواوينهم واجري الرسوم العادية بالعدل
في الرعية فانما هي ايام تمضي ومدة تنقضي فاما ذكر جميل واما خزي طويل والسلام
ثم كتب كتابا ثانيا الى نيل مصر يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله
امير المؤمنين عمر بن الخطاب الى نيل مصر أما بعد فانك مخلوق لا تملك نفعا ولا
ضرا فان كنت تجري بحولك وقوتك فانقطع فلا حاجة لنا فيك وان كنت تجري
من الله فاجر والسلام ثم طوى الكتابين وسلمهما الى علم بن سارية
وقال له سلم على عمرو بن العاص وقل له يطرح هذا الكتاب في النيل ثم أمره بالمسير
قال علم بن سارية فأخذت الكتابين وركبت مطيتي وركب ايضا المائة فارس
الذين أتوا معي في صحبة الخمس وساروا يريدون مصر وجددنا في المسير ليلا ونهارا
حتى قدمنا مصر واقبلت على عمرو بن العاص وسلمت عليه وناولته الكتابين ففض
عمرو الكتاب وقرأه سرا وتبين معانيه وما امره به امير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وأما كتاب النيل فرماه في النيل وكان قد انقطع وأيس الناس
من الزراعة في عامهم فوالله ما اصبح الصباح الا والنيل قد اقبل اقبالا زائدا
قال صاحب الحديث رحمه الله تعالى حدثنا محمد بن يحيى عن سالم عن عدي عن

حجاج بن عاصم عن يحيى بن عوف قال بلغنا عن عمرو بن العاص رضي الله عنه انه لما
فتح مصر اقبل الى كنيستهم المعظمة فوجد فيها بيتا مقفلا ففتحه فاذا فيه صورة
من الفضة وامام الصورة ايضا شخص آخر في يد الشخص غلام قال وهذه الصورة والشخص
على صفة الصورة التي وجدها المصطفى صلى الله عليه وسلم في الكعبة حين فتح
مكة شرفها الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم هذه صفة ابراهيم عليه الصلاة والسلام
وصفة أبيه آزر قال فتبسم عمرو بن العاص وقرأ ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا
ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين قال معاذ بن جبل لما قدمت
من اليمن سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول يلقى ابراهيم صلى الله عليه وسلم اباه
آزر يوم القيامة وعلى وجهه قترة وغبرة فيقول ابراهيم عليه الصلاة والسلام
الم اقل لك لا تعصني فيقول له ابوه اليوم لا اعصيك فيقول ابراهيم عليه
الصلاة والسلام يا رب انك وعدتني انك لا تخزني يوم يبعثون فاي خزي
اعظم من هذا فيقول الله عز وجل اني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقول يا ابراهيم
انظر ما تحت قدميك فينظر فاذا هو بالذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائم آزر فيلقى
في النار قال فعند ذلك امر عمرو بن العاص بالصورتين فكسرتا قال صاحب
الحديث رحمه الله تعالى ثم امر عمرو بن العاص جيش المسلمين بالعبور الى الجانب
الغربي في تبع العدو قال فعبر الجيش وفي مقدمته خالد بن الوليد رضي الله عنه
ورفاعة والمقداد وعمار بن ياسر ومالك بن الاشتر النخعي وعبد الله يوقنا وبنو
عمه وجيشه وساروا يريدون دمريوط قال فلما عبروا الجانب الغربي بعث خالد
يوقنا رسولا ومعه عشرون فارسا من جنده وبني عمه وجيشه الى المرزبان
الساقي فسار يوقنا بهم حتى اتوا مدينة دمريوط ووقفوا قبال البلد فلما
نظر اليهم اهل المدينة اقبلوا الى المرزبان الساقي واخبروه فبعث اليهم غلمانه
يسألونهم عن امرهم قال يوقنا انا رسول اليكم من امير العرب فرجع الغلمان
الى صاحبهم المرزبان واخبروه بذلك فامر غلمانه بادخالهم اليه فاقبلوا اليهم
وفتحوا لهم الباب ودخلوا بهم اليه فلما وقف يوقنا واصحابه بين يديه قال لهم
ما الذي جاء بكم الينا قال يوقنا ان امير المسلمين وجهني اليك رسولا وهو
يخيرك ان تعمل على خلاص نفسك وخلاص من يتبعك من قومك وأشير عليك
بالخير ان تسلم هذه المدينة اليهم ولك الامان على نفسك ومالك واهلك
ولك ايضا الخيار في المقام ان اخترت ان تكون تحت يد الاسلام فلا مانع يمنعك
وان اخترت المسير بمالك واهلك وقومك فسر حيث شئت والى اين

موضع تريد فمن يوصلك والسلام قال فلما سمع المرزبان ذلك الكلام قهقه ضاحكا
وقال وحق ديني انا الغدر شعاركم والمكر دثاركم ولا افلح من آمن اليكم ولا من دخل
في دينكم وما انا ممن اخون الملك وأسلم بلده وانا واياه في ارض واحدة وسوف
ابعث الى الملك كتابا واخبره بأمركم وستعلمون على من تدور الدوائر ومن يكون
المغبون في الآخر ثم أمر بالقبض عليهم وقال ليوقنا ومن معه وأنتم يا معشر
الروم كفرتم بالمسيح وجحدتم بالسيدة مريم أم النور وخرجتم من ملة الحواريين
ودخلتم في دين هؤلاء العرب الجياع الاكباد العراة الاجسام فوحق المسيح لأبعثن
بكم الى الملك ارسطوليس يقتلكم ويقابلكم على كفركم ثم أمر بهم الى السجن
بعد ما أخذ سلاحهم وانطلقوا بهم الى بيت في دار الامارة وقيدوهم بالحديد
وعول ان يبعث بهم الى الاسكندرية واقام ينتظر فترة ليسفروهم ثم وكل بهم
جارية من جواره كان اسمها رينا بعد ما حطهم في بيت مظلم في دار الامارة وأمرها
بحفظهم وسلم اليها مفتاح البيت وأمرها ان تدخل عليهم بما يقوتهم من مأكول
ومشروب فامتثلت ما أمرها به قال واشتغل عدو الله المرزبان بالطعام
والشراب حتى سكر وسكرت غلمانه فلما نظرت الجارية رينا الى المرزبان والساقي
وقد سكر هو وغلمانه امنت على نفسها واقبلت الى البيت وفتحته ودخلت على يوقنا
واصحابه وقالت لا خوف عليكم واعلموا ان الله تعالى القى رحمتكم في قلبي واعلموا
اني أنا اخت مارية القبطية التي اهداها الملك المقوقس لنبيكم واني اذا
خلصتكم اريد منكم ان توصلوني الى مدينة نبيكم اسكن ارى أختي واني قد عزمت
على ان احلكم من وثاقكم واسلم اليكم لامة حربكم قال يوقنا نفعل ذلك ان شاء
الله تعالى غير اني اخاف عليك من عدو الله ان يفطن بك فما تصلي اليه ما تريدين
ويقتلنا ويقتلك فقالت ما جئت اليكم الا وعدو الله قد سكر هو وغلمانه
فقال يوقنا يجب للعاقل ان يخاف موضع الأمن والآن تعرفينا كيف
يكون خروجنا والباب الذي للمدينة مغلوق قالت اعلموا انه يكون خروجكم
من غير باب المدينة وان خروجكم من وسط دار الامارة الى ظاهر المدينة من
طريق تحت الارض يخرج الى المقابر الى قبة مبنية على ثمانية اعمدة وباب المخرج
تحت القبة يدخل منه الداخل ويخرج منه الخارج والباب الذي تحت القبة
على صفة القبر فمن رآه يظن انه قبر لبعض الملوك واعلموا ان الذي بنى هذه
المدينة كانت امرأة وهي أم العاذين وكان اسمها مقتامات بنت تادرهم التي
صنعت هذه المقابر التي تراها كأنها قصور مشيدة فقال لها يوقنا افعلي

ما شئت من الخير وما يقربك الى الله تعالى ونسهل خروجنا من هذه الطريق وما يعلم بنا احد ونروح الى عسكرنا ونخبرهم بذلك لعل يدخلوا المدينة من هذه الطريق ويملكوها ما دام المرزبان سكران هو واصحابه وغلمانه **قالت** سوف افعل ذلك ثم خرجت واقبلت الى المرزبان واشرفت عليه واذا هو وغلمانه صرعى من الخمر سكارى نيام فرجعت مسرعة الى باب السرداب لتفتحه واذا هي بحس من وراء الباب في السرداب فخافت ووقفت تسمع الحس **قال صاحب الحديث** رحمه الله تعالى حدثني عبد الرزاق قال اخبرنا سليمان بن عبد الحميد قال حدثني سفيان الاعمش قال اخبرنا اوس بن ماجد وكان ممن شهد فتوح مصر والاسكندرية وكان حافظا للوقايع وبما جرى للمسلمين من القتال والحروب قال كنت في من صحب خالد ابن الوليد رضي الله عنه حين بعثه عمرو بن العاص الى الاسكندرية **قال** لما نزلنا على دمربوط بجيشنا وانفذ خالد بن الوليد يوقنا رسولا الى المرزبان السابق ومعه عشرون فارسا من بني عمه وقومه وقبض عليهم المرزبان واقام خالد ينتظر رجوعهم فابطؤا عليه ومضى النهار واقبل الليل بالاعتكار ولم يرجعوا فعلم انهم قد قبض عليهم فبقي قلقا مهموما من اجل يوقنا واصحابه وكان خالد رضي الله عنه صاحب عزيمة وهمة عالية لا ينام الليل من خوفه على المسلمين وكان معه جواسيس له من كل بلد تملكوه واقليم يأخذوه ويضع عنهم الجزية ويعطيهم اوفى اجرة ليكشفوا له الاخبار ويقضوا له الاشغال وياتوه باخبار الملوك والعساكر **فبينما** خالد تلك الليلة التي قبض فيها يوقنا واصحابه وهو قلق مهموم من اجل ابطائهم عليه ونفسه تحدثه باشيا اذ وردت عليه جواسيسه فاخبروه ان ولد المرزبان السابق قد اقبل من عند الملك ارسطوليس بالخلع والتحف في خمسمائة فارس يريدون دمربوط فبلغه خبر نزولكم على المدينة فخاف جانبكم وقد نزل بالعساكر بالبعد من المدينة وقد خرج راجلا منفردا بخادمين وسار خفية الى نحو المدينة وما ندري ما الذي يريد ان يصنع **قال** فلما سمع خالد ذلك الخبر من جواسيسه قام مسرعا واخذ معه غلامه همام واربع رجال من آل مخزوم واربعة من جيش المسلمين وساروا الى ان قربوا من المقابر وجلسوا مع سفح الجبل ولطوا بالارض بالبعد من الطريق وجعلوا الطريق بين ايديهم واذا بابن المرزبان والخادمين قد اقبلوا ولم يزالوا سائرين الى ان اتوا الى قبة هناك فدخلوها فتسلل خالد واصحابه وهمام وافترقوا من حول القبة وكبسوهم في القبة واذاهم يزيلوا التراب **فلما** هجم خالد واصحابه عليهم خافوا وجعل ابن

المرزبان والخادمين يرتعد واخوفا فقال لهم خالد ما بالكم لا تتكلموا فان انتم اخبرتموني بخبركم وصدقتموني امنتكم وان كذبتم رميت برؤسكم فقال الغلام انا ابن المرزبان الساق وكنت عند الملك ارسطوليس وقد انفذ معي خمسمائة فارس نجدة لحفظ هذه المدينة فلما كنت في الطريق لقينا جواسيسنا واخبروني بنزولكم على هذه المدينة فأمرت العسكر بالنزول واتيت بهذين الخادمين الى هذه القبة قال خالد وما الذي تريدون من القبة الكم هاهنا مال او سلاح قال لا قال خالد اصدقني والا رميت برأسك قال الغلام يا مولاي اذا انت أمنتني حدثتك قال خالد لك الأمان ان صدقتني فقبل الغلام يده وقال يا مولاي أريد منك الأمان لي ولأبي ومن يلوذ به قال لكم الامان جميعا فقال الغلام اعلم ان هذا القبر الذي في القبة هو باب سرداب والسرداب ينتهي الى دار امارة ابي والدار في وسط المدينة قال فلما سمع خالد ذلك من الغلام تهلل وجهه فرحا وقبض على الغلام والخادمين وأمر بعض من كان معه بحفظهم واقبل خالد وهمام وجعلوا يكشفوا ذلك القبر وينقلوا ذلك التراب حتى بان لهم السرداب واذا هو بلا غلق فدخل فيه شيأ يسيرا فوجد بابا مغلقا فعالجه خالد حتى فتحه فعند ذلك اقبل خالد على عبده همام وقال له سر مسرعا الى العسكر واستدعي بالابطال والاكابر في السر وأتني بهم في السر بغير ضجة ولا انزعاج فمضى همام مسرعا واستدعى بابطال المسلمين وفرسان الموحدين مثل عمار بن ياسر ويزيد بن ابي سفيان وشرحبيل بن حسنة ومالك بن الاشتر وربيعة بن عامر المصطريف وطاعن بن زيد وكهلان بن عمر وخزيمة بن أسلم ومعمر بن ساف وجابر بن سراقة وسعيد بن زيد ومثل هؤلاء السادات رضي الله عنهم اجمعين ولم يزل همام يستدعي الرجال والابطال حتى استكمل معهم الالفا رجل من ابطال المسلمين وتقلدوا بسيوفهم ودرقهم وساروا مسرعين وقد اخفوا حسهم واخذوا معهم مشاعل تضيء بين ايديهم الى المقابر وكان بين القبة والمدينة تل عالي مرتفع فاذا كان احد باعلا سور المدينة لا يرى من يكون وراء التل قال فلما وصل المسلمون الى القبة امرهم خالد ان يقفوا على باب السرداب ودخل خالد وابن المرزبان والخادمان في السرداب الى ان وصلوا الى الباب الجواني فكان وصولهم اليه وربة اخت مارية تريد فتحه قال فلما سمعت ربنا الحس قالت من انتم فقال خالد للغلام كلم هذا المتكلم وقل له يفتح الباب ولا يعلم أباك المرزبان فقال الغلام من انت يا هذا الذي وراء الباب قالت الجارية وقد عرفت كلامه انا جارية ابيك ربنا قال لها الغلام افتحي

ولا تعلمي أبي قال فلم يبق لها بد تفتح الباب من خوفها ثم فتحت الجارية الباب ودخل خالد
وابن المرزبان والخادمان وقبض خالد على الجارية قال ودخل المسلمون في السرداب
رجلا بعد رجل حتى دخل الثلاثمائة رجل قال فلما قبض خالد على الجارية رينا وكانت
فصيحة اللسان بالعربية فقالت لخالد وللمسلمين تقبضوا علي وانا كنت ساعية
في خلاص اصحابك وافتح لهم هذا الباب واتركهم يسيروا اليكم ويعودوا بك الى حين
املكتم هذا البلد وانا رينا اخت مارية القبطية زوجة نبيكم التي اهداها له
الملك المقوقس قال فلما سمع خالد منها هذا الكلام فرح وقال اين اصحابنا
قال فاتت بخالد واصحابه الى البيت الذي فيه يوقنا واصحابه فدخل خالد واكابر
الصحابة اليهم وسلموا عليهم وهنوهم بالسلامة وازالوا عنهم وثاقهم وخرجوا واقبل
خالد باصحابه الى دار الامارة فوجد المرزبان واصحابه صرعى من الخمر سكارى فوكل
خالد بهم جماعة من المسلمين وبعث ايضا بجماعة من المسلمين الى السور فقبضوا على
من كان عليه من الحراس والرجال ونزلوا على باب المدينة واذا لها بابان فكسروا
الاقفال وازالوا السلاسل وفتحوا البابين وبعث خالد بها الى الجيش وأمره
ان يأتي بجميع العسكر فسار همام مسرعا الى العسكر وامرهم بالركوب والمسير الى
المدينة ودخلوها تحت الليل وملكوها وأقام خالد فيها بالجيش الى ان أصبح
الصباح قال فلما أصبح الصباح استيقظ المرزبان من منامه وقد صحى من سكره
فعند ذلك امر خالد بن الوليد رضي الله عنه المسلمين ان يرفعوا أصواتهم
بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فلما سمع المرزبان واصحابه
اصوات المسلمين في المدينة عالية بالتهليل والتكبير نهض المرزبان وغلمانه
عند سماعهم اصوات المسلمين في المدينة اندهشت عقولهم ورجفت قلوبهم
وانعقد لسان المرزبان واراد ان يخرج من دار امارته لينظر ما الخبر واذا
المسلمون وكانوا بالباب فارتجف فؤاده وارتعدت فرائصه واقبل اليه خالد
وقال يا عدو الله لولا اني اعطيت ولدك الأمان لقتلتك أشر قتلة ولكن خذ
اهلك ومالك وانصرف حيث شئت فانا قوم اذا قلنا صدقنا واذا وعدنا وفينا
فعند ذلك علم المرزبان ان الذي أصابه كان من جهة ولده فخرج عدو الله
باهله وماله وتخلف عنه ولده وقال لخالد يا مولانا اعلم ان ابي ان مضى يتم
قتلي هو والملك ولست أريد غيركم بدلا وانا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله فقال خالد اذا اسلمت فلك قصر ابيك وما تركه فيه وعرض خالد
الاسلام على اهل دمريوط فاسلم أكثرهم ثم اقبل خالد على عبد الله يوقنا

وقال يا عبد الله ابشر بالرضوان من الله والثواب والغفران فقد نلت ما تريد من الله عز وجل بصبرك على الشدائد وبصبرك فتح الله عليك هذه المدينة **قال يوقنا** لا والله بل بفضل الله وبركة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال واكرم خالد وبنا أخت مارية وشكر لها فعلها واثنى عليها خيرا واسلمت مع من أسلم ووعدها خالد بكل خير وانضافت الى حريم المسلمين **قال** وكتب خالد الى عمرو بن العاص كتابا بفتح دمروط وهو مقيم يومئذ بمصر وعرفه انه عازم على المسير الى الاسكندرية بجيشه **قال** ابن اسحاق رضي الله عنه وأقام خالد بدمروط بسبب مداواة ذي الكلاع الحميري لانه أصابه مرض شديد مكث فيه شهرا كاملا ولم يقدر خالد أن يفارقه وهو منتظر عافيته فقضى الله تعالى انه مات باجله رحمة الله تعالى عليه فحزن عليه خالد والمسلمون حزنا شديدا **وكان ذو الكلاع** الحميري ملك حمير وكان قبل دخوله في الاسلام يركب اركوبه اثنى عشر الف مملوك من السودان شرآ ما له قال ابو هريرة رضي الله عنه رايته بعد ثلث الحشمة حين دخل في الاسلام وهو يمشي في سوق المدينة وعلى ظهره جلد شاة وذلك حين اتى يريد الجهاد في أيام ابي بكر الصديق رضي الله عنه **قال صاحب الحديث** رحمه الله تعالى فلما مات رثاه ولده يبوح بما رثى حميرلابيه سبا بن يشجب بهذه الأبيات وهي هذه

عجبت ليومك ماذا فعل   وسلطان عزك كيف انتقل
واسلمت ملكك لا طايعا   وسلك الأمر لما نزل
فيومك يوم رفيع الطويل   ورزقك في الدهر رزق جلل
فلا تبعدن فكل امرئ   سيذكره بالسنين الاجل
لئن صبحتك صروف الزمان   وسابك الدهر وجه الامل
لقد كنت بالملك ذا قدرة   تاك الدهر بالعز عان وجل
بلغت من الملك اقصى المنا   نقلت وعزك لم ينتقل
وطحطحت آفاته والذي   وحزت من العرب خود الدول
حويت من الملك آفاقه   ونلت من الملك ما لم ينل
وحملت عزك نقل الأمور   آفاقه بها سما زما وانتقل
صحبت الدهور فأفنيتها   وما خاب سعيك فيما فعل
بنيت القصور كمثل الجبال   ذهبت فلم تبن الا طلل
نعمنا بايامك الصالحات   شربنا بسيبك وبلا وطل
نومك في الدهر اقصى المنى   ولم ندر بالأمر حتى نزل

زالت لعمرك شم الجبال ولم يلث حزمك فيها هبل

قال صاحب الحديث رحمه الله تعالى ولما مات ذو الكلاع الحميرى رحمة الله تعالى عليه حمله ابن عمه عجلان بن مضاض الحميرى الى مصر بعد ان صبره وعول ان يسير به الى اليمن قال حدثنى زياد بن أوس الطائى قال اخبرنى معمر بن الشديد المازنى قال لما فتح الله تعالى على المسلمين دمربوط وكان من ذى الكلاع الحميرى وموته رحمة الله عليه رحل خالد بن الوليد رضى الله عنه بعسكر المسلمين يريد الاسكندرية فنزل بنا فى قرية تعرف بالشجر قال صاحب الحديث رحمه الله تعالى ولما فتح المسلمون دمربوط اتصلت الأخبار الى الملك ارسطوليس بفتحها وهو بالاسكندرية مع قوم من جواسيسه فضنا قصدره لذلك ثم بعد ذلك بأيام قلائل وصل اليه المرزبان الساقى بماله وعياله واخبره بعبور المسلمين الى الجانب الغربى وحدثه بما كان من امره من اوله الى آخره وقبضه على رسول المسلمين يوقنا واصحابه حين اتاه رسولا وفتح المسلمين المدينة على يد ولده ودخولهم الى المدينة من السرداب بلا حرب ولا قتال فلما سمع ذلك من المرزبان الساقى غضب غضبا شديدا وقال وحق المسيح لاغضبن العرب بكل ما اقدر عليه وكتم فى نفسه ما يريد ان يفعله قال صاحب الحديث رحمة الله تعالى عليه ولقد بلغنى ان مدينة الاسكندرية كانت غير عامرة وانما كانت العمارة بمدينة اسلاروس وكانت آهلة بالخلق وهى هذه المدينة المسماة بدمربوط وكان السبب فى تسميتها بهذا الاسم انه كان بها حكيم من حكماء القبط وكان خبيرا عالما وكان اسمه بوط وكان الناس يسيرون اليه ويقتبسون من علمه ويتمسكون بقوله وانه قال لاهل مدينته اعلموا انه لابد ان يظهر من الحجاز نبى يختم الله تعالى به الانبياء والرسل وتنتشر دعوته بالمشرق والمغرب وقد بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهاجر الى المدينة وقبض صلى الله عليه وسلم وتولى الخلافة ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وجهز جيوشه الى الشام فبلغ الخبر الى الحكيم اسلاروس وهو الحكيم بوط كما ذكرنا فعمد الحكيم الى ثلاثة افراخ من حمام فنسل جناح احدهما لئلا يطير ومعط ريش الثانى وترك الثالث على حاله بريشه ليطيق الطيران ثم اغلق بابه وارتحل على حين غفلة من اهل مدينته وصار الى بلاد المغرب قال فلما كان بعد يومين طلبوه فلم يجدوه قد خلا بيته فرأوا الثلاث طيور حماما الواحد منسول الجناح والثانى ممعوط والثالث كامل الريش يريد الطيران فقال العلماء منهم انه قد ضرب لكم مثلا وقال بلسان اشارته من قدر منكم ان يرتحل عن هذه المدينة فليفعل فانه يغنم سلامته مثل هذا الطير

الكامل الريش الذى يطير ومن كان ثقيلا بالعيال فليرتحل قليلا قليلا شبه هذا الطير المغسول ومن كان فقيرا من المال ثقيلا بالعيال فهو مثل هذا الطاير الامعط الذى لا ريش له فان اقام هلك ولا قدرة له على الرحيل ثم خرجوا من منزله وهم يقولون دمريوط فتحول اسم هذه المدينة من اسلاروس الى دمريوط قال وتحول اكثرها الى الاسكندرية وعمرت من ذلك الوقت الاسكندرية وكثر اهلها ورجعنا الى الحديث قال فلما بلغ الملك ارسطوليس فتح دمريوط بلا حرب ولا قتال غضب غضبا شديدا وقال وحق المسيح لاغيظن العرب بكل ما اقدر عليه ثم بعث عشرين مركبا فى البحر وجرد فيها من خيار جنده ورجاله ما يزيد على اربعة الف راجل وامرهم ان يسيروا الى ساحل يافا وقال لمقدم المراكب اذا وصلت الى الساحل لا تنزل البحر حتى تبعث جواسيسك ياخذوا لك اخبار حال العرب بحيث اخبروك بها نازلة فاترهم الى الليل والصق بالمراكب الى البر وانزل اليهم واكبسهم واجهد بانك لا تقتل منهم احدا ان امكنك واتينى بهم اسرى قال المقدم سمعا وطاعة سافعل ما امرتنى به ثم اقلعوا من يومهم وشالوا القلوع وساروا فى البحر ثلاثة ايام بلياليها قال الراوى فخرجت بهم الريح من موضع يعرف بيافا فخرجوا عن المدينة حتى اذا قربوا من الرملة واذا الناس قد لاحت لهم بالبعد فعند ذلك الصقوا مراكبهم بالبر ونزلوا بعددهم واسلحتهم وقصدوا البر واذا هم بحلة العرب وهم نزلوا فى تلك الارض قال الراوى وكانت هذه الحلة من عرب يقال لهم بنو ادوس وكانوا هم بنى هريرة رضى الله عنه قال وكان معهم ايضا قوم من بجيلة وقوم من مكة قال وكان فى جملتهم خولة بنت الازور واخوها ضرار بن الازور قال وكان اخوها ضرار ابن الازور قد لحقه ضرر ومرض مرضا شديدا وهو موجوع غارق فى المرض قال وكانت اخته خولة تدور به وتتفقد حاله قال الراوى وكان ابو عبيدة رضى الله عنه قد امرهم بالنزول فى تلك الارض قريبا من البحر وذلك لطيب هواها وغزير مرعاها وكثرة مياهها وذلك لاجل مراعى دوابهم وماشيتهم قال فنزلوا هناك وانزلوا اموالهم وماشيتهم ترعى والقوم مطمئنون من القبط ومن غيرهم لان تلك البلاد فى قبضتهم والسواحل فى ايديهم وما علموا بما يجرى فى الغيب وكانت دولة الروم قد انصرمت وايامهم قد مضت قال فما فطن القوم بهم حتى كبستهم القبط ليلا فوضعوا السيف فيهم فقتلوا منهم رجالا واخذوا منهم اسارى واسروا ضرار بن الازور واخته خولة قال الراوى وكانت جملة الاسارى من دوس وبجيلة ومكة الف ومائة من الرجال والنساء والصبيان

والعبيد قال وساروا بهم في ليلتهم يطلبون الاسكندرية قال ابن اسحاق
رحمه الله تعالى وكان ابو عبيدة رضى الله عنه قد استوطن طبرية وسكنها لكثرة
خيرها واعتدال هواها لانها قريبة من نهر الاردن ومن دمشق ومن بلاد السواحل
وانما نفذ ابا هريرة ليزور قومه ويسالهم عن حالهم وعن حال ضرار بن الازور
رضى الله عنهم قال وكان جميع المسلمين يحبون ضرار بن الازور لاجل دينه وشجاعته
وما ظهر منه في قتال الروم قال فلما مضى ابو هريرة رضى الله عنه مع طليفة من بجيلة
يقال له محارب بن مطاعن وانهم ساروا الى الموضع الذي فيه الحلل فوجدوا الموتى
مطروحين على الارض والقتلى ممدودة على الثرى وآثار المعمعة ورسوم المعركة
ووجدوا اقواما قد جرحوا والقوا ارواحهم بين القتلى قال وكان قدوم ابي هريرة
رضى الله عنه وحليفه صبيحة ليلة الوقعة فسال المجروحين فقالوا يا امام ما كان
عندنا خبر حتى كبستنا القبط بالليل فوقعوا علينا وهبرونا بالسيوف قال
فعند ذلك استرجع ابو هريرة رضى الله عنه وقال كلمة لا يخجل قائلها لا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم اشهد ان الله على كل شيء قدير قال الراوي ثم ان ابا
هريرة رضى الله عنه خرج مع حليفه محارب بن مطاعن حتى وصل الى الساحل
قال فلم يتبين لهم خبر قال فلما عولا على الرجوع واذا هما بلوح والامواج تلعب
به وترفعه وتحطه قال فوقفنا ننظر اليه الى ان قرب منا وتبيناه واذا على ذلك
اللوح شخص قال ابو هريرة رضى الله عنه فوقفنا ساعة ونحن ننظر اليه حتى لحق
ذلك اللوح بالمسلمين بالساحل وخرج الرجل من البحر وسار في البر فتامله ابو هريرة قال فلما
راه الرجل عانقه وسلم عليه وقال يا ابن عمي ما وراءك فقال له يا صاحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم اعلمك ان العدو هجم علينا ليلا فاسرنا وسار بنا في المراكب فلما
بقينا في وسط البحر بعث الله اليهم ريحا عاصفا فغرقت منهم مركبين وكنت انا
في احدهما فوالله ما نجى من المركبين غيري فنجوت على هذا اللوح كما رايت فقال له ابو هريرة
رضى الله عنه يا ابن عمي ومن اين هذا العدو قال من قبط مصر وانهم في راياتهم يتحضرون
بذكر الاسكندرية قال الراوي فعند ذلك رجع ابو هريرة وحليفه يطلبون
طبرية ولا زالوا جادين الى ان وصلوا الى طبرية ودخلوا على امين الامة ابي عبيدة رضى
الله عنه باتيان وخبراه فقال انا لله وانا اليه راجعون اعوذ بالله من الافعال الردية والله
لئن وصل اصحابنا الى الاسكندرية اذا بقاهم صاحبها طرفة عين ويموت والله
ضرار بن الازور ويمضي دمه هدر قال الراوي وكان الناجي من البحر رجل يقال له
لحيان عدلي من بجي من الجرحى ومن هرب بالليل وتراجعوا بالنهار الى الدار التي كانوا

فيها فلم يجمع ما تركه العدو من الرجال والاثاث وساقوا الدواب وجميع ما كان وارتحل بهم طالب الرملة ونزلوا بها قال الراوي فهذا ما جرى هاهنا واما ما كان من ابي عبيدة فانه من وقته وساعته كتب كتابا الى الامير عمرو بن العاص يخبره بما جرى على المسلمين من صاحب الاسكندرية وانه قد أسر جماعة من المسلمين منهم دوس وبجيلة وعكة وغيرهم من العرب وكان في جملتهم والخلفة فيهم ضرار بن الازور واخته خولة وذلك لمرض لحقه وكانت اخته خولة تداويه فاذا وصل اليك كتابي هذا فاجتهد في خلاصهم وان وقع اليك من يعز على المقبط شانه ففادى بهم وبعث الكتاب مع يزيد الخيل فاخذ الكتاب وتوجه الى مصر وكان يزيد قد دخل مصر مرارا وايا ما كثيرة في ايام ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال فلما قدم يزيد الخيل الى مصر فاوصل كتاب ابي عبيدة رضي الله عنه الى الامير عمرو بن العاص قال فلما قرأه وعلم معناه صعب ذلك عليه قال وكان عمرو بن العاص يحب ضرار بن الازور محبة عظيمة فكتب الى خالد رضي الله عنه يعرفه بما جرى ويحثه على خلاص المسلمين والمسير الى الاسكندرية لينظر ما ذا يجدد من حال الاشياخ وبعث الكتاب الى خالد بن الوليد رضي الله عنه فاخذ الرسول الكتاب وسار فوجد خالد بن الوليد قد رحل عن دمر يوط ونزل على مغاير قوم عاد فاوصله كتاب عمرو بن العاص رضي الله عنه قال فلما قرأ خالد بن الوليد الكتاب اشتد عليه امر ضرار بن الازور وامر اخته واسر المسلمين قال الراوي حدثنا عاصم بن منصور عن احمد المروزي عن سهلة بن سليمان المروزي قال اخبرنا عبد الله عن ابيه قال لما اخذت المقبط حال دوس وبجيلة وعكة واسر ضرار بن الازور واخته خولة وغرق المركبان ووصل الباقون الى الاسكندرية ومثلوهم امام الملك ارسطولس فهم بقتلهم فقال له ارباب دولته وحجابه واكابر مملكته ايها الملك انظر في امرك ولا تعجل فان العجلة من الشيطان والمثل يقول ما ساد عجول وانت ايها الملك تأني على نفسك وانظر في مصالح امرك وانت تعلم ان العرب متوجهون الى قتالنا وحربنا وبلادنا وهم طالبوك واليك قاصدون وهم خلفاك من بلد الى بلد واي وقت قتلت هؤلاء العرب فما يعود يقع احد منا في ايديهم الا وقتلوه قال الراوي الرأي عندنا ايها الملك انك تستبقي هؤلاء العرب وتوكل عليهم من يحفظهم فاذا اسروا منا من يعز علينا فاديناه بهم اوا صلحنا تصالح العرب بسببهم ويرجعون عنا قال الراوي فلما سمع الملك بن المقوقس قول الاكابر والامراء والحجاب وارباب دولته فرآه صوابا واستصوب رأيهم وبعث بالاسارى الى دير يعرف بدير الزجاج وامر الفي فارس من القبط ان يدخلوهم الى ذلك الدير قال

الراوى وكان للأمير خالد بن الوليد رضى الله عنه جواسيس كما ذكرنا من أهل الذمة فكانوا يأتوه بالأخبار من القبط وغيرهم قال وكان منهم جماعة بالاسكندرية قال فلما عاينوا ذلك اسرعوا فى السير الى الأمير خالد واخبروه بما رأوا وحدثوه بالأمر الذى وقع على جيشه فقال عند ذلك لأصحابه لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم ان الأمير خالد ركب وركبت معه المسلمون لركوبه وسارت الأدلة بين يديه يريدون دير الزجاج قال الراوى وكان وصولهم قبل وصول القبط بالاسارى لأن خالدا كان اقرب الى الدير بالاسكندرية قال فلما وصل خالد رضى الله عنه الى ذلك الدير صاحوا به قال فاشرف عليهم راهب كبير السن قال وكان اسم ذلك الراهب سناخ وكان تلميذا لبحيرة الراهب وكان مؤمنا بالله عز وجل وبانبيائه فقال له خالد بن الوليد رضى الله عنه كيف ترى الدنيا قال تخلق البدن وتجدد الأمل وتقرب المنية وتقطع الامنية قال فما حال اهلها قال من نال منها شيأ اتعبه ومن لم ينل منها شيأ حسرته قال فما شر الأصحاب قال اتباع النفس والهوى فقال له خالد بن الوليد رضى الله عنه صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ضالة المؤمن يأخذها حيث ما وجدها ثم قال له خالد فكيف طابت لك الوحدة قال لو ضاق منها الصادق لفر من نفسه قال فهل نلت منها فائدة قال نعم الراحة من مدارات الناس قال خالد ما احسن هذا لو كان فى الاسلام والتوحيد قال ما اعرف غيره قال خالد فما تقول فى محمد صلى الله عليه وسلم قال هو سيد المرسلين وخاتم النبيين واصفى الأصفياء وحجة الأخيار على الورى قال خالد فلم لا تكن فى بلاد الاسلام اصلح لك من ههنا قال اعلم يا اوجه قومه وشمس يومه ان قلبى ملوث بحب الدنيا فقال له خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه هل عندكم يا راهب خبر من قوم من العرب انفذهم صاحب الملك اليك قال لا والله ولكن مرّبى البارحة بطريق من بطارقة الملك واستقى الماء من بئر هذا الدير وسألته من اين اتى فذكر انه وصل من الاسكندرية وانه رسول من الملك كماديل وروبيل صاحب ارض برقة وما والاها من اول بلاد المغرب وقال انى مضيت الى صاحب القبط اسأله ان ينفذ اليه قوما من الاسارى من المسلمين من العرب ينظر اليهم والى صفتهم وزيهم ويستخبرهم عن دينهم وانى قد اديت الرسالة الى ملك القبط فانعم انه يبعث له قوما من العرب الذين قد اسرهم وها انا ارجع ابشر الملك صاحب برقة بذلك ثم قال راهب الدير لعلكم من المسلمين الذين فتحوا الشام فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه نحن اولئك فقال راهب الدير ان اخباركم عندى يوم

يوم

بيوم ولقد رأيت نبيكم محمدا صلى الله عليه وسلم يوما وهو في قافلة اقبلت من مكة
المشرفة شرفها الله تعالى وهو مقدمها وقد نزل على دير بحيرا الراهب وانا اخدمه
فلما مات بحيرا الراهب انتقلت الى هذا الدير واعلموا يا جماعة المسلمين ما بقي بأرض
الكنائس ولا بارض المقبة ولا بارض الرماد راهب ولا قس الا وقد اتى الى زيارتي
والى السؤال عنكم وعن نبيكم وقالوا لي كلهم ان كنت على طريقتهم فقد آمنت بنبيهم
وقد شرحت لهم ما ظهر من دينكم وفضلكم وما ظهر من معجزات نبيكم ولقد جرت
بيني وبين الراهب الذي بالقرب منا اسمه متى مناظرة شديدة بالامس وقال لي
ان النبي الذي تشيرون اليه انتم والمسيح ما هو هذا فقلت بلى والله هو النبي العربي
فقال لي متى انا سمعنا من علمائنا ان الرسول الذي يظهر من الحجاز يعرج به الى السما
ويخاطبه ربه ولقد سمعت ابا ذر الغفاري رضي الله عنه يقول ان الرسول صلى
الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل عليه السلام ففرج
صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطشت من ذهب مملوء حكمة وعلما وافرغهما
في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي ثم عرج بي الى السماء سماء الدنيا فقال جبريل
لخازن السماء افتح فقال من معك فقال معي محمد صلى الله عليه وسلم قال ارسل
اليه قال نعم ففتح له الباب باب السماء قال فلما علوت الى السماء اذا انا برجل عن
يمينه اسودة وعن يساره اسودة قال فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر عن
يساره بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت من هذا يا جبريل قال
هذا آدم عليه الصلاة والسلام وهذه الاسودة عن يمينه وعن يساره نسم
بنيه فاما اهل اليمين فهم اهل الجنة والاسودة التي عن شماله فهم اهل النار
فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر عن شماله بكى ثم عرج بي الى السماء الثانية
فقال جبريل لخازنها افتح وقال له ما قال في الاول ففتح قال انس بن مالك
رضي الله عنه فذكر انه وجد آدم في سماء الدنيا وابراهيم في السماء السادسة
قال انس بن مالك فلما مر جبريل عليه السلام بادريس عليه السلام قال مرحبا
بالاخ الصالح والنبي الصالح فقلت من هذا قال ادريس ثم مررت بموسى عليه
السلام فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال عليه الصلاة والسلام
ثم مررت بعيسى بن مريم عليه السلام فقال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح
فقلت لجبريل ما هذا قال عيسى عليه السلام قال ثم مررت بابراهيم عليه السلام
فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح فقلت لجبريل من هذا قال ابراهيم
خليل الله ثم انطلق بي الى سدرة المنتهى ثم دخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ

واذا ازاربها المسك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت موسى وعيسى وابراهيم
فاما عيسى فانه احمر أجعد غليظ عريض الصدر قال ابن اسحاق فالتفت اليهم وقال
يا قوم اعلموا ان في وسط هذا الجبل رجلا مسلما منذ زمان وهو من العرب من اصحاب
نبيكم وقد بلغني انه جاء بتجارة من اليمن الى مصر في ايام الملك المقوقس فباع تجارته
ثم اشترى غيرها واتخذ بها من مصر الى الاسكندرية فباعها واشترى ما يخرج
عنه بارض برقة وخرج ببضاعته مع قافلة عظيمة قال فلما كان بالقرب من هذا
الجبل خرج على القافلة بطريق هذا الجبل مع غلمانه فنهب القافلة واخذ كل ما كان
فيها وترك اهلها فلما نظر الى صاحبكم وعليه زي العرب فاسره وهو في وسط
هذا الجبل مع غلمانه في دير يقال له دير المسيح وفي رقبته غل وهو مربوط الى الشجرة هناك
وقد نبت الشعر من دموعه وكل يوم تطلع فيه الشمس لا يأكل ولا يشرب حتى يضربه
وقد بقي مثل الخلال والبطريق يقول له ما احلك حتى تقول ان الله ثالث ثلاثة
وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله وكلما ضرب بسوط يرفع طرفه الى السماء ويقول
اللهم اني قد بذلت نفسي وجسمي من اجلك فابذل لي رحمتك يا ارحم الراحمين واذا
كان في كل مساء اتاه البطريق بصورة من نحاس وعلى رأس الصورة عمامة سوداء وهي
مسودة بالمداد وعلى جبين الصورة مكتوب هذا محمد نبي المسلمين فينصب تلك الصورة
بين يديه ويقول هذا نبيكم مقابلة صاحبكم ثم يشرب ويرمي فضلته على رأس تلك
الصورة والمسلم يستجير بالله وبرسوله قال الراوي فلما سمع خالد بن الوليد
رضي الله عنه أخذ شرحبيل بن حسنة كاتب وحي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعامر
ابن ربيعة ورفاعة بن قيس ويزيد بن ابي سفيان وهاشم بن سعيد وترك باقي الجيش
عند الدير وامرهم بالنهوض وصعد خالد بن الوليد رضي الله عنه والخمسة من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان توسطوا الجبل ولاح لهم ذلك الدير الذي فيه
الاعرابي واذا بذلك البطريق اللعين قد اقبل ومعه وحش مسمط على قربوس
سرجه فقصد الى شجرة هناك هائلة متفرعة وتحت تلك الشجرة عين ماء تجري
فنزل ذلك الملعون هناك وصاح فخرج اليه الغلمان من ذلك الدير واسرعوا
اليه من كل جانب ومكان واضرموا له النيران وارتفع الدخان وقربوا له ذلك
الوحش من جلده وجعل ذلك البطريق يشوي ويأكل ثم ادعى بالخمر فحضر بين
يديه وهو زق من الخمر ثم صاح هاتوا المهدي قال الراوي فجاء الغلمان برجل
من العرب قد ركبه الذل وعلاه القهر وقد رق عظمه واصفر جسمه ونحل قواه
وصار عبرة لمن يراه لكن نور الاسلام عليه لائح وجبينه بنور الايمان واضح

قال

قال فلما جعلوه امامه قال له ذلك الملعون يا مسلم غلبتني بجلدك على العذاب وحق ديني ما بقي لي عليك صبرا ما ترجع الى ديني والا قتلتك في هذه الساعة فقال له الاعرابي اصنع ما بدا لك فاني لا اكفر بالله جرت الامور بارادته والدهور بمشيئته والاشياء في قبضته والسموات مرفوعات بتدبيره والارض مبسوطة بتقديره وجوده في خلقه وملكه بسيط وعلمه بالاشياء محيط له تدبير وليس له نظير وليس له وزير واحد احد فرد صمد وهو سبوح قدوس رب الملائكة والروح قال الراوي فلما سمع البطريق كلامه هم ان يجرد سيفه ويعلو به رأس ذلك الولي الصابر وهو مستعين بالاله القادر متيقن بالفرج من صاحب الفرج قال واذا بخالد بن الوليد رضي الله عنه قد صاح باصحابه الله اكبر فتح الله ونصر وخذل من كفر وتبعه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونادوا يا كلب النصرانية واخس من غمس في ماء المعمودية تنح عن ولي الله قد جاءه الفرج من عند صاحب الفرج فنحن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الراوي وكان من سبق الى البطريق خالد بن الوليد رضي الله عنه ثم انه استجاده بطعنة صادقة فقتله اطلع السنان من وراء ظهره يلمع واطبق اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على باقي غلمانه فقتلوهم عن آخرهم ونزلوا على تلك العين قال ولم يكن لاصحاب الدير شرب الا من تلك العين قال فعند ذلك اشرف اهل الدير عليهم وقالوا لهم يا قوم نحن لسنا من اهل حرب ولا قتال ونحن قوم رهبان ولسنا اصحاب سيف حتى نقاتل عن انفسنا بل نحن رهبان ونبيكم نهى عن قتل الرهبان فقال لهم خالد بن الوليد رضي الله عنه سلموا الينا مال هذا البطريق ونحن لا نعارضكم قال فاخرجوا مال البطريق وعياله واهله فاخذهم خالد رضي الله تعالى عنه وفكوا ذلك الاسير من القيود والاغلال وقالوا من انت فقال لهم انا امية بن حاتم اخو عدي بن حاتم الطائي اسلمت في اخر خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وكنت اريد ارض برقة ببضاعتي فاسرني هذا البطريق وكان امر الله مفعولا قال الراوي فهنوه بالسلامة وبشروه من الله عز وجل بالكرامة ثم ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلوا من الجبل وهم قد قربوا من الدير واذا هم بصوت صهيل الخيل وقعقعة اللجم وضجيج الاطفال وانين الرجال وصراخ الماسورات وعويل العربيات وزمجرة القبط عليهم من خلفهم ومن بين ايديهم وهمهمة الفرسان وهمينف الصبيان والابكار والنسوان بالذل والهوان وخولة بنت الازور في مقدمة الاسارى وهي تنشد وتقول هذه الابيات

شعر

حل المصاب فعم الويل والحرب ... وكل دمع من الاجفان ينسكب
وكاد في الدهر مما قد رميت به ... حتى توهمت ان الارض تنقلب
جارت يد القبط فينا عند غفلتنا ... واستحكم الروم لما زلت العرب
لهفي على بطل قد كان عمدتنا ... فيه العفاف وفيه الدين والادب
لو كان ناصرنا في وقت شدتنا ... اعني ضرارا الذي للحرب ينتدب
فيه الحمية والاحسان عادته ... فيه التعصب والانصاف والحسب
لانه فارس الهيجا وعادته ... الطعن بالرمح في الاعدا وينتهب
مردي الكتائب والكفار قاتلهم ... ومهزم الجيش ان كروا وان ضربوا
يا رب واسدل عليه ثوب عافية ... حتى يقاتل اعدا بنا نشبوا
لو كان يقدر يرقى في مراكبه ... كان العدو بنا والحرب يلتهب
لو كان خالد فينا حاضر لرثى ... وزال عنا الذي نشكوا وننتحب
او كان يسمع صوتي صاح بي عجلا ... مهلا فقد زال عنك البؤس والعطب
عسان جاته تشكوا كآبتها ... ستون الفا فما ثبتوا وقد هربوا
قاتلهم خالد والصحب عدتهم ... ستون فارسا من دم العدا شربوا
في يوم يرموك كان الحرب بينهم ... صبر الكرام لضرب السيف ما غلبوا
امير خالد ادركنا بلا مهل ... بك الخلاص وانت القصد والارب

قال الراوي فلما سمع خالد رضي الله عنه صوت خولة بنت الازور وصاح بها الامير خالد رضي الله عنه لبيك لبيك جاءك الفرج وذهب عنك البؤس والعطب ثم ان خالدا رضي الله عنه صاح وحمل وحملت معه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعوا السيف في القبط قال فما كان غير يسير حتى قتلوا من القبط اكثر من سبعمائة رجل واسروا مقدار الف وثلاثمائة رجلا اسيرا واخذت الصحابة رضي الله عنهم سلب القوم وخيولهم وخلصوا الاسارى وسلموا على ضرار بن الازور وعلى اخته خولة وهنوهم بالسلامة وودعوا الراهب بعد ان كتب له الامير خالد رضي الله تعالى عنه كتابا ان يمد له في كل عام من الاسكندرية صاعا للرهبان ولكل من سكن الدير من اهله وقبيلته ولوى خالد رضي الله عنه طالبا الى الاسكندرية وقدم الاسارى بين يديه قال الراوي وكان الملك ارسطوليس منذ سمع ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صاروا معه في ارض واحدة خرج بعسكره الى باب السدرة وخيم بعسكره هناك واقام ينتظر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقع الصايح بقدومهم ووقع الخوف والفزع في قلب الملك ارسطوليس والقبط

كلهم فعند ذلك جمع الملك امراهم وحجابهم وقال لهم يا قوم انى اجد ان العرب قد نزلت
بساحتكم وانى ارى ان الخوف والفزع قد جاءكم فما ذا استعرضها تحون وما الذى تدبرون
فى امر هؤلاء العرب فقالوا له ايها الملك دبرنا انت فقال وما عسى ان ادبر من امركم
والخوف والفزع قد جاءكم ونزل بفنائكم وهؤلاء العرب قد طمعوا فيكم وانكم قوم
لا تخافون العار عند الهزيمة ولا تبعدون بين الانام عار فاذا قاتلتموهم كانت جموعكم
متفرقة واموركم غير متفقة لانهم قد ركبوكم ولم يرهبوا عن قتالكم الا ان اقبلوا اليكم
قصدا ويريدون قتالكم عمدا ولا مانع يمنعهم ولا دافع يدفعهم ولو ان اصحابهم
الذى بعث بهم الى دير الزجاج عندى لكنت صالحتهم بسببهم وكانوا اندفعوا
عنا وقد فرطت ايضا فى الذى بعث بهم الى دير الزجاج معهم ولو كانوا عندنا لقاتلناهم
حسب طاقتنا فقال له وزيره الكبير ايها الملك هل لك ان تبعث رسولا الى
هؤلاء العرب وتحدث معهم فى امر الصلح وانا نسلم اليهم اصحابهم وان يرجعوا عنا
من حيث اتوا فقال له الملك اعلم ايها الوزير ان هؤلاء العرب لا يسمعون منكم رسالة
منذ نصبت عليهم المصر فى مجرى الحصا فقالوا له ايها الملك ان القوم قد اخذوا
منا جهد طاقتهم لان الحذر شعارهم والتيقظ دثارهم قال الراوى فهم
الملك ارسطوليس ان ينفذ رسولا الى خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه عسى ان
يصالحوهم على ان يسلموا اليهم اصحابهم الذين انفذ بهم الى دير الزجاج قال الراوى
فبينما هو ينظر فى رأيه من ينفذه الى خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه واذا هو
باصحاب الحرس وهم حراس موكلون بالمنارة قد اقبلوا اليه واخبروه ان مركبا قد
ظهر لنا من الغرب لا ندرى من اين ورد قال فتاهب الملك لقدوم من فى المركب
وقال انه لا شك انه من صاحب ارض برقة وهو الملك كياوس بن روسيل قال فما
كان الا ساعة او اقل منها حتى رأى ذلك المركب فى الميناء ونزل منه شيخ مليح الانوار
حسن الشيبة زايد الهيبة والوقار وعليه ثياب من الصوف الاسود والمسوح الشعر
وعلى رأسه عمامة حمراء وعلى عنقه زنار اصفر ونزل معه عشرون شيخا من
الاقساء والرهبان قال الراوى فلما حصلوا على البر جاءتهم المواكب والخيل والغلمان
والحجاب وعظموا شانهم واركبوهم بالمراكب المرصعة وساروا بين ايديهم الى قصر
الملك ارسطوليس وانزلوهم هناك وافاضوا عليهم الخلع والنعم بقية يومهم وليلتهم قال
فلما كان من اليوم الثانى ركبوا الى العسكر ودخلوا على الملك ارسطوليس فقام لهم قائما
وعظم شانهم واعلا مكانهم وانزلهم بازاء سريره قال ابن اسحاق ولقد
بلغنى ممن اثق به من الرواة الثقاة ان صاحب الاسكندرية وهو الملك ارسطوليس

ان المقوقس كان قد انفذ هدية الى الملك كماوس بن روبيل صاحب ارض برقة الى حدود ارض القسطنطونية وهو المعروف في وقتنا هذا بجابر اليمن وكان ملكا كثير الجنود والعساكر وكان قد ولى ولده افلاعمورس على مرطاخية وكان جيشها ما بين الف فارس من الروم وان الملك انفذ اليه وبعث كتابا يخوفه من العرب ويقول له ايها الملك ان الدنيا دار انتقال وما وهبتنا شيأ الا واستردته ولا افرحت احدا الا واحزنته ولا نصرت ملكا الا واخذلته فالمغرور من تشبث باذيالها واطمأن اليها والسعيد من لبس اليها ثياب الحذر وعمل لدار الآخرة اما ترى ايها الملك المعظم الى فلسطيس بن قوطيس المسمى هرقل صاحب الشام وارض سورية الى بلاد القسطنطونية كيف زال عن ملكه وبلاده واعرض عن غلمانه واجناده وذلك عند ما رمته الدنيا بمصائبها ورشقته بسهام نكايتها بعد ان كانت اخلاقه في وسط الدنيا تشرق في هامة الاعداء احسن من الحياة التي تحويه المكرم والشيمة التي تجلو محاسنها الشيم لقد تضاءلت له الارض تحت قدمه وصارت الافلاك من الاتقياء تخدمه لقد كانت خيله العزماني والادهام وانصاره الليالي والايام فمن ذا يقدر ان يدفع قضاء من تبرجت البروج لعبادته وتكوكبت الكواكب لهيبته الذى لو شاء عقد النار والما وعقد الهوا وجسم الما وفصل تراكيب السما والف بين النار والما ونور ضيا الشمس والقمر وكفاهما عند السفر الذى اذا شاء اسكن الرياح والزعازع واطبق جفون البوارق اللوامع وانبت العشب على البحار والبس الليل ضوء النهار وانما ضربت لك هذا المثال لتعلم ان الدنيا لا تبقى على حال ومآلها الزوال وهؤلاء العرب المهديون قد استولوا على البلاد واذلوا بسيوفهم العباد وشحطوا العساكر والاجناد وقد قاموا شرع نبيهم بالسيوف الحداد وقد ملكوا الشام من القياصرة وقد جاءت طائفة منهم الينا واخذوا مصر من ايدينا وقد اخذوا ملكنا وحكموا على بلادنا فلا بد لهم منك ولا غنى لهم عنك والصواب ان تشمر عن ساق الهمم وتجدنا على من بغى وظلم فنحن جيرانك واعوانك وانصارك وكلنا جندك والسلام **قال الواقدى** رحمة الله تعالى عليه فلما وصلت الهدية الى الملك كماوس بن روبيل اعرضها على جميع ارباب دولته وقال لهم ما ترون من الراى فقالوا ايها الملك ما ضاع هذا بين الناس ودايما الناس يستنجدون بعضهم ببعض والذى اشار اليه فهو الحق الذى لا دفاع عنه واعلم ايها الملك ان العرب اذا ملكت ملك القبط فلا بد لهم منا ولا غنى لهم عنا وعن الغزو الى بلادنا فابعث اليه نجدة يكونوا معه يدا واحدة والمسيح يعطى النصر لمن يشاء **قال** الراوى فلما سمع الملك كماوس بن روبيل قولهم استصوب رايهم

وخلع على ابن اخيه اصطفانوس وضم اليه اربعة الاف من العوادس وامره بالمسير الى معاونة صاحب
الاسكندرية ثم ان الملك انفذ خادمه الخاص الى عالم ارضهم والمشار اليه فى العلم
وهو البطرك الكبير واسمه نيطليس قال الراوى وكان هذا البطرك يسكن بموضع
يعرف بالكنايس قال وكان قد مضى له من العمر مائة سنة وعشرون سنة قال
وكان تلميذ الوزير وشار و وزيروشار تلميذ المرقس ومرقس تلميذا ليوحنا و يوحنا
اخر حوارى المسيح قال وكان هذا البطرك نيطليس مؤمنا بالله موحدا لله قال
وكان قد سمع باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعجزاته ويؤمن به فلما بلغه انه بعث
صلى الله عليه وسلم وظهرت اياته ومعجزاته آمن به وكان يروم ان يتوصل اليه فما لبث
الا قليلا حتى بلغه وفات رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى لموته ولزم زاوية الحزن
ولم يظهر لاحد من قومه سنة كاملة ولولا انه مشتغل بالعبادة لما خرج ولا ظهر
ثم بنى له صومعة على قارعة الطريق فكان كلما مرت به قافلة يستخبرها عن
جيوش المسلمين وبأى ارض هم ويسال عن الخليفة من هو من بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقيل له ابو بكر الصديق رضى الله عنه فلما توفى ابو بكر رضى الله عنه بلغه
الخبر بوفاته وولاية عمر بن الخطاب رضى الله عنه من بعده ثم انه بلغه الخبر بفتوح الشام
ومصر فلما كانت هذه النوبة بعثه الملك كيماوس صاحب ارض برقا فى المركب الى الملك
ارسطوليس مبشرا بقدوم النجدة مع اصطفانوس اخو الملك كيماوس باربعة الف
فارس وعن قريب يكونوا عندك قال صاحب الحديث رحمه الله ورجعنا الى ما كنا
عليه من الحديث فلما حضر نيطليس بين يدى الملك ارسطوليس واخبره بذلك استبشر
وقال له يا ابونا اريد من انعامك ان تسير الى هؤلاء العرب برسالتى وتجسس لى خبرهم
وتنظر ما هم عازمين عليه ان كان غرضهم القتال او الصلح فان كان غرضهم الصلح
ففى يدى منهم أسرى وهم جماعة كثيرة وقد انفذت بهم الى دير الزجاج
فان صالحونا سلمتهم اليهم واعطيناهم من اموالنا وعقدنا معهم عقدا واحدا واخذنا
عليهم عهدا ان لا يرجعوا الينا ولا يتعرضوا بنا فقال البطرك امرك الذى تأمر به
نفعله ولكن أيها الملك انى قد قرأت فى الكتب وسمعت من الاخبار الماضية ان
الله عز وجل يبعث فى اخر الزمان نبيا عربيا من ارض تهامة وانه تعرض عليه كنوز
الارض جميعها فلا يلتفت اليها ويختار الفقر على الغنى وان اصحابه ايضا يتبعون
سبيله ويقومون بسنته وقد اردت ايها الملك ان اختبر حالهم قبل مسيرى اليهم
قال الملك وبماذا تختبرهم قال ايها الملك تأمر غلاما من غلمانك ان يسرج
بغلة من خيار مراكبك باحسن ما يكون من السروج والعدة وتزينها بقلائد من انواع

الجواهر واليواقيت ونطلقها نحو عسكرهم فان اخذوها فاعلم انهم يريدون الدنيا وان
تركوها ولم يلتفتوا عليها ولا يطلبون الا الآخرة وما عند الله عز وجل قال فامر الملك سياسته
ان يشدوا بغلة من خيار مراكبه بسرج من الذهب مرصعا بفصوص الياقوت والجواهر
ويلجموها بلجام من الذهب ويقلدوها بقلائد من الدر وان يرسلوها الى نحو عسكر
المسلمين ففعلوا ذلك قال وكان على حرس المسلمين يومئذ شرحبيل بن حسنة
كاتب وحي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قربت البغلة من عسكر المسلمين نظر
اليها شرحبيل بن حسنة ورأى ما عليها من الحلي والجواهر فتبسم ضاحكا وقال ان
اعداء الله يريدون بذلك اختبارنا ان كنا نريد الدنيا او الآخرة والله ما منا من يميل الى
ما يفنى وما بغيتنا الا فيما يبقى ثم قرأ انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر
بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد الى آخر الآية ثم مسك بعنان البغلة وجاء بها
الى عسكر القبط ثم ارسلها قال فلما نظر الملك الى ذلك صك على وجهه وقال
والله بهذا نصروا وخذلنا ولقد كان ابي على بصيرة منهم ثم امر البطريق بيطاليس
المسير اليهم قال فسار البطريق راجلا نحو عسكر المسلمين فلما قرب منهم اقبل
اليه شرحبيل بن حسنة رضي الله عنه وسأله عن امره فقال انا رسول الملك ارسطوليس
الى امير العرب فاخذه شرحبيل وسار به في العسكر يريد خيمة خالد بن الوليد رضي الله
عنه قال فلما دخل البطريق بيطاليس مع شرحبيل في وسط عسكر المسلمين جعل
ينظر الى العرب وهم جلوس فرأى قوما قد هجروا الدنيا منهم القارئ ومنهم الذاكر
ومنهم المصلي ورأى عليهم السكينة والوقار والانوار لائحة عليهم فلما وصل
الى خيمة خالد استأذن له شرحبيل فاذن له خالد بالدخول فلما دخل على خالد نظره
وجده جالسا على التراب وليس له حاجب ولا بواب وبين يديه جماعة من اصحابه
فسلم عليهم بيطاليس وقال ايكم الامير فردوا عليه السلام واشاروا الى خالد رضي
الله عنه فقال البطريق انت امير هؤلاء القوم قال كذلك يزعمون بأني اميرهم
ما دمت على التقوى واتباع العدل في الحكم والانصاف والخوف من الله تعالى محسنا
للمحسن منهم مشددا على المسيء فمتى خرجت عن هذه الاشياء فلا امرة لي عليهم
فقال البطريق انتم والله القوم الذي بشر بنبيكم المسيح بن البتول وان الحق معكم
لا ينازعكم قال فامره خالد بالجلوس فجلس فلما جلس قال يا معاشر العرب خبروني
عن نبيكم وعرفوني بحسبه ونسبه قال خالد رضي الله عنه ان الله عز وجل
اختار من ولد آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر كنانة واختار
من كنانة قريشا واختار من قريش هاشما واختار من هاشم عبد المطلب واختار

من عبد المطلب عبد الله واختار من عبد الله محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
خالد لقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نبوته قال كنت نبيا وآدم بين الماء والطين
وقال صلى الله عليه وسلم لما خلق الله تعالى العرش كتب على ساق العرش لا اله الا الله
محمد رسول الله فلما وقع آدم في الذلة واخرج من الجنة راى مكتوبا على ساق العرش
لا اله الا الله محمد رسول الله فقال آدم عليه الصلاة والسلام يا رب من محمد قال ولدك
يا آدم الذي لولاه ما خلقتك فقال آدم يا رب بحرمة هذا الولد ارحم الوالد قال
الله عز وجل يا آدم لو تشفعت الينا بمحمد في اهل السموات والارض لشفعناك ثم
ان الله عز وجل جعل اسمه مقرونا باسمه وذكره مع ذكره ووسمه بما وسم به نفسه فقال
تعالى ان الله بالناس لرؤف رحيم وقال في حقه بالمؤمنين رؤف رحيم وقال
عز من قائل من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال ايضا عز من قائل في حقه يا ايها
الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان الله عز وجل رفع ذكره وعظم قدره واعز
امره فقال جل وعلا ورفعنا لك ذكرك وهذا غاية الشرف والتعظيم والتبجيل
والتكريم وقال الله يا محمد لا أذكر الا وتذكر معي ولا اعرف الا وتعرف ومن سبك
فقد سبني ومن جحدك فقد جحدني ومن انكر نبوتك فما عرفني وانا اشهد بنبوتك
ان جحدت وخالفوك عليها اذ يقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا
وقال وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله قال فلما سمع البطريق ذلك الكلام من خالد
رضي الله عنه فرح وقال والله لقد نجا من اتبعه وخسر من خالفه ثم جدد اسلامه
على يد خالد بن الوليد رضي الله عنه وحدثه بامره من اوله الى اخره قال وكيف لا اؤمن
بالله ولا اصدق برسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرح خالد باسلامه
والمسلمون وقال خالد فيما تبين من عند الملك ارسطوليس فبعث لخالد بما كان
من امر الملك ارسطوليس وقلعته وكتابه اليه صاحب برقا يعلمه منه بخبر ويخبره
ايضا منكم وقد بعث له الملك كياوس باخيه اسطفانوس في اربعة الف فارس نجدة
وانه سبقته في البحر الى الملك ارسطوليس يخبره بذلك وقد بعثنا ارسطوليس اليكم رسولا
يريد يصطلحكم ولا يبقى قتالكم وقد اقسم الحرب على ان يعطيكم شيئا من المال ويسلم اليكم
قوما من العرب في اسره اخذهم من ساحل البحر بالشام قال خالد ما اصابنا فقد
فلق الله تعالى اسرهم وجمع بيننا وبينهم ونصرنا على اصحاب القلعة فقتلنا منهم جماعة
فارس واسرنا الثنا وثلاث عشر رجلا ثم امر خالد باحضارهم الى البطريق فاعرضوا عليه
ثم اعرض عليهم خالد الاسلام فابى اكثرهم فمن اسلم تركه واحسن اليه ومن ابى الاسلام
امر بضرب عنقه قال وان البطريق مشى مع خالد والمسلمين وعاد الى الملك ارسطوليس

وقال اعلم ايها الملك ان هؤلاء القوم لا يملك ايثارهم وانهم عند رؤيتهم ثم حدثهم بقصة اصحابه
وخلاص الاسرى الذين بعث بهم الى دير الزجاج قال فلما سمع الملك ارسطوليس
ذلك من البطريك سقط ما كان بيده وايقن بذهاب ملكه وقال لارباب
دولته خذوا على انفسكم القتال هؤلاء العرب فكانكم بتسكر الملك
كيما وس صاحب ارض برقا وقد قدم عليكم فقاتلوا بقلوب قوية واسوار نقية
والمسيح ينصركم قال وبات الملك تلك الليلة على نية الملتقا وقد
عزم على حرب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحاق رحمه الله
ولقد بلغني ان الملك ارسطوليس بات بقية ليلته وهو مهموم فلما غرق في بحر المنام
وغمضت جفونه رأى في منامه انه قد اقبل عليه رجل اشقر بهي الصورة عريض
الصدر ومعه رجل اخر طاهر الوجه كثير الانوار مليح الوجه حسن الخلق له نور
يعلو عليه الهيبة والوقار فقال الرجل الاشقر لارسطوليس ايها الملك انا المسيح
عيسى بن مريم وهذا الذي الى جانبي هو النبي العربي الذي بشرت به قبل مبعثه محمد
العربي سيد الرسل وخاتم الانبياء فمن امن به فقد اهتدى ومن جحد نبوته فقد
ضل وغوى وقد جئنا لننصر اصحابه ومقامنا في القبة التي على البرج قال وكانت
القبة على برج عالي مما يلي الباب الاخضر الى نحو البحر فان كنت مؤمنا فامن به وبرسالته
قال صاحب الحديث رحمه الله تعالى وكان الاسكندر باني الاسكندرية سماها
باسمه فلما بنى هذا البرج عقد عليه هذه القبة فكان الخضر عليه السلام يسكنها
وبنى الباب وسماه الباب الاخضر حيث كان في اصل البرج وكان الخضر عليه السلام
يأوى اليها وذلك الباب مشهور الى يوم القيامة قال فلما قال عيسى عليه الصلاة
والسلام للملك ارسطوليس ذلك انصرفا جميعا عليهما الصلاة والسلام
قال فاستيقظ الملك ارسطوليس من نومه وهو مرعوب من الرؤيا فلما اصبح
الملك اقبل على امرائه وحجابه واكابر دولته وحدثهم بما رأى في منامه فقالوا ايها
الملك اضغاث احلام وما كان المسيح ممن يماشي النبي العربي وهو عدوه قال فاصغى
الملك الى كلامهم وركب وضربت كوساته ونعرت بوقاته ونشرت اعلامه ورايانه
وركبت عساكره وترتبت صفوفه قال فلما نظرت المسلمون الى عساكر القبط
وقد ركبت وترتبت صفوفا اخذوا اهبتهم وركبوا ايضا وترتبوا صفوفا وجعل
خالد يطوف عليهم ويرتبهم ويعظهم ويحرضهم على الجهاد قال وكان مصافهم
مما يلي الباب الاخضر والبحر قال ووقف الملك ارسطوليس تحت صليبه وجعل
ينظر الى القبة واذا النور عليها يسطع فدخل الرعب في قلب الملك من اجل تلك الرؤيا

التى رأيتها فى النوم وقال والله ان الذى رأيته حقا ولا شك فيه قال ابن اسحاق رضى الله تعالى عنه حدثنى عامر بن بشر عن الاحوص السكاسكى قال كنت فى خيل خالد ابن الوليد رضى الله عنه يوم قتالنا على الاسكندرية قال فلما وقفنا فى مقام الحرب واستوت صفوف الجيشين ونحن قد عزمنا على الحملة اذ خرج الينا من عسكر القبط بطريق عظيم الخلقة وعليه درع مصفح بصفائح الذهب مرصع بانواع فصوص الجوهر على جواد من خيار خيول العرب بكامل السلاح فلما وقف بين الصفين نادى بلسان فصيح عربى وقال يا معشر العرب انصرفوا عنا فاننا لا نريد قتالكم فقد ملكتم منا مصر والصعيد واكثر الريف وقد بقى لنا من ملكنا اقل وقد ملكتم اكثره ولسنا ننازعكم فى ما اخذتم منا ونحن نقلدكم البغى فان صالحتمونا صالحناكم صلحا يعود علينا وعليكم صلاحه واعدلوا فينا ولا تجوروا علينا فى الصلح فان ابيتم ذلك لقيناكم باسرار نقية وقلوب قوية ونردكم على اعقابكم منهزمين وفى ادباركم هاربين لانه ما عاند احد هذا الدين الا ذل واهين الا انا قوم لنا الكنائس والصوامع والبيع والقسوس والرهبان والانجيل والقربان والمذبح والصلبان فما عندكم معاشر العرب من الجواب قال صاحب الحديث رحمه الله تعالى وكان المتكلم بهذا الكلام الملك ارسطوليس بن الملك المقوقس قال فما فرغ من كلامه حتى برز اليه شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاوبه وقال يا ويلك لقد افتخرت بما يردك الى البوار ويعقبك سوء الدار وافتخر علينا بالكفر والطغيان وعبادة الصلبان والشرك بالرحمن ونحن اولوا التقية والايمان والفوز والرضوان والقبلة والقرآن والحج والاحرام والصلاة والصيام ديننا افضل الاديان ونبينا المبعوث بالمعجزات والبيان والآيات والبرهان المنزل عليه القرآن من اتبعه نال الغفران ومن نكل عن حجته بأنه يغضب من الديان الذى كان ولا مكان ولا دهر ولا زمان شهد لنفسه بالربوبية ولصفاته بالازلية ولذاته بالاحدية وملكه بالابدية سلطانه ظاهر وتدبيره محكم وقضاؤه مبرم عرشه رفيع ووصفه بديع ليس بوالد ولا مولود ولا لذاته حد محدود ولا لبقائه اجل ممدود خضعت الاعناق لعظمته وخشعت الملوك لهيبته وعنت الوجوه لعزته وذلت الاقوياء لقوته لا يحصى كماله ولا يفنى نواله ولا تبيد افضاله يا ويلكم كيف طاب لكم الكفر بالاهيته والاشراك بربوبيته وان تجعلوا لله ولدا فى وحدانيته ثم قرأ قوله تعالى ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون ثم قال شرحبيل ان

لله عباداً اذا اقسموا عليه ان يدك لدكهم هذا الصخر لفعل واشار بيده الى الصور المدينة
فلطئ الصور بالارض وظهرت المنارة والديار قال فارتعدت فرائص الملك عند
ما عاين ذلك من عظم القدرة ثم الوى راس جواده نحو عسكره والافئدة منه قد طارت
والقبط من عظم ما رأت حارت وخافت ورجع القبط الى خيامهم ولم يتعرضوا للقتال
وكذلك المسلمون رجعوا الى خيمها وانقضى النهار فلما كان الليل اخذ الملك خزائنه
وما يعز عليه وحريمه ورجاله وركب في المراكب وسار من ليلته يريد جزيرة اقريطش
فلما اصبح الصباح وقع الصايح في المدينة بهروب الملك قال واجتمع الاكابر منهم
بعضهم الى بعض وقالوا ان الملك قد ولى وسار عنا ولو ارادوا الدخول الينا لدخلوا
علينا لكنهم قوم قد اسكن الله تعالى الرحمة في قلوبهم فاخرجوا الان بنا اليهم لناخذ
لنا منهم عهداً وذماماً ويصالحوهم على بلدنا ونحفظ حريمنا واولادنا على ما يقع
الاتفاق منهم ومنا قال فاتفق الاكابر على ذلك وخرجوا الى عسكر المسلمين وطلبوا
الحضور بين يدي الامير خالد بن الوليد رضي الله عنه فاستاذنوا عليه فاذن لهم فدخلوا
عليه فلما وقفوا بين يديه سلم عليهم من كان يعرف بلسان العرب فرد عليهم خالد السلام
وسالهم عن سبب قدومهم وقال ما الذي تريدون قال فتقدم اليه من الاكابر من كان
يعرف بلغة العرب وقالوا ايها الامير ان الله تعالى قد نصركم علينا بصدق قلوبكم وانا
نريد منكم ان تعاملونا بالنصفة وتنظروا الينا بعين الرأفة وتحكموا فينا بالعدل سنة
من كان قبلنا منكم من الروم فقال لهم خالد نحن قوم قد اسكن الله تعالى الرحمة بقلوبنا
ونصرنا بها على من يعادينا وايدنا على اعدائنا ونحن نجيبكم على ما جرت به عوائدنا مع سائر من
فتحنا بلادهم والان فانا لو اردنا ان ندخل مدينتكم بالسيف لفعلنا وهان علينا ذلك
ولكن خير الناس من قدر وعفى والان فانا نريد منكم على صلحكم مائة الف دينار من اطيب
اموالكم سلماً عن انفسكم واهاليكم وحريمكم واولادكم وبعد ذلك ندعوكم الى الاسلام وتوحيد
الله تعالى والتصديق بشريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن اجاب منكم كان له ما لنا وعليه
ما علينا ومن ابى الاسلام منكم اخذنا منه الجزية عن السنة القابلة عن كل رجل منكم ومن كل
غلام بلغ الحلم اربعة دنانير ونشرط عليكم شروطاً تقبلوها ان لا تركبوا دابة ولا تعلوا
دوركم على دور المسلمين ولا ترفعوا اصواتكم عليهم ولا تبنوا في الاسلام بيعة ولا دير
ولا تجددوا ما اندثر من رسوم دينكم وشريعتكم وتلقوا المسلمين بالتذلل والخضوع
وتسارعوا الى قضاء حوائجهم وما يريدون من اصلاح شانهم وتعظموا الاسلام واهله
ومن اذنب منكم ذنباً حددناه ومن ارتد عن قولنا قتلناه وتشدوا الزنانير على
وساطكم اظهاراً لدينكم وعرفاً بها عنكم ولا تضربوا ناقوساً ولا ترفعوا

صليبا

صليبا ولا نتظاهر بين المسلمين بشيء من امور دينكم وكنائسكم واذا صليتم فيها لا ترفعوا اصواتكم بقراءة انجيلكم **فقالوا** ايها الامير انه قد صعب علينا ترك ديننا وما كان عليه اباؤنا من قبل فتبسم خالد من قولهم ثم قرأ خالد قوله تعالى واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير **فقالوا** ايها الامير قد اجبناك الى كل ما قلت ونريد ان تولوا علينا رجلا من اصحابك حتى يجمع المال الذي طلبت منا فقال خالد انا لا اعلم بامور اصحابكم ولا نعرف القادر منكم ولا الضعيف فانظروا من اكابركم من تختاروه عليكم يجمع المال فولوه عليكم ويكون معه رجل من اصحابنا مساعدا له على ذلك قالوا نعم قال فاشار القوم الى رجل رئيس من اكابرهم اسمه شعيا بن شامس وكان مقدما في القبط فولوه عليهم بامر خالد رضي الله عنه وندب معه رجلا من اصحابه يقال له قيس بن سعد وامرهما بجمع المال وقال لهم من كان معسرا ضعيفا فاتركوه وخذوا من كل رجل ما يحتمل حاله واحسنوا ان الله يحب المحسنين ولا تظلموا فقيرا ولا يتيما ولا ارملة قال ودخلوا المدينة واقبلوا يجمعوا المال وكانوا يأخذون من كل رجل ما يحتمل حاله ومن كان ضعيفا يتركه قيس بن سعد كما امره خالد رضي الله عنه قال صاحب الحديث رحمه الله تعالى حدثني جرير بن عاصم قال اخبرنا فهيم بن موسى الداراني قال حدثنا سليمان بن يوسف عن جده مازن بن شيث قال كنت حين دخل شعيا بن شامس وقيس بن سعد المدينة ليجمعا المال فاجتمعوا في قصر الملك المقوقس مما يلي باب رشيد وبعث شعيا بن شامس غلمانه يجمعوا الناس وجعلوا يجيئون بالمال وكنت حاضرا عندهم وقد قسطوا المال على اهل المدينة فكان اكبرهم في الحشمة واغزرهم مالا يزن عشرة قراريط واوسطهم مالا يزن قيراطين اذ اتوا برجل من اصحابهم اسمه بولص بن مقوقس لا يدري احد ما يملك من المال والنعم والملك وكان ابخل اهل زمانه فقال له رئيس القوم المتولي على الجباية شعيا ابن شامس قد وجب عليك من هذا المتسقط دينار قال وحق المسيح ما كنت بالذي اوديه ولو مت وان صدقني على البينة افضل من عطائي للعرب فقال له قيس بن سعد ويلك ان الذي ناخذه منكم حلال لا حرام يا ويلك احسب انا دخلنا مدينتكم عنوة بالسيف السيف كنت مقتولا ومالك اول منهوب فقال شعيا بن شامس اخزاك الله ولعنك كلنا في الاسكندرية يعلم انك كنت صعلوكا لا تقدر على شيء من امور الدنيا وقد اتاك الله من فضله ووسع عليك من رزقه فقال الملعون انت تستاتي ورثته عن ابائي وكابر واجداد عظماء وما لله علي من فضل قال فغضب قيس بن سعد من قوله وقام اليه وقبضه بالخصرة التي كانت بيده وقال كذبت يا عدو الله وعدو رسوله بل الفضل والمنة لله لا احد رزقنا من فضله

واسبغ علينا من نعمه وقرأوان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم قال قيس اللهم احمد
نعمتك وكفرنا بها فازلها عنه قال والله ما مضى لها ديومهم ذلك حتى جاء الخبر ان املاكه
قد انهدمت واغنامه قد هلكت وبساتينه قد يبست وسائر امواله قد مضت
فقال قيس بن سعد الله اكبر هذا والله مثل حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه
وسلم وابو هريرة جالس الى جانبي فقال عليه الصلاة والسلام ان ثلاثة في بني اسرائيل
ابرص واقرع واعمى فاراد الله عز وجل ان يبتليهم فبعث اليهم ملكا من الملائكة عليهم
السلام فاتى الى الابرص فقال اي شئ احب اليك قال جلد حسن فمسحه فذهب عنه ذلك
واعطى جلدا حسنا ثم قال الملك اي المال احب اليك قال الابل فاعطى ناقة عشراء من
الابل فقال الملك بارك الله لك فيها قال واتى الملك الى الاقرع فقال اي شئ احب اليك
قال شعر حسن فمسحه الملك فذهب عنه ذلك واعطى شعرا حسنا قال فاي المال احب
اليك قال البقر فاعطى بقرة حاملا فقال الملك بارك الله لك فيها قال واتى الملك الى
الاعمى فقال اي شئ احب اليك قال ان يرد الله علي بصري فابصر به الناس قال فمسحه الملك
فرد الله عليه بصره فقال الملك اي المال احب اليك قال الغنم فاعطى شاة والدا
فقال الملك بارك الله لك فيها قال فانتج هذا وولد هذا وهذا فكان للابرص
واد من الابل وللاقرع واد من البقر وللاعمى واد من الغنم قال فاتى الملك الى
الابرص في زي فقير فقال انا بالله وبك اسالك باخلنا بالذي اعطاك الجلد الحسن
واللون الحسن والمال بعيرا ابلغ عليه في سفري فقال له ان الحقوق علي كثيرة فقال له
كاني اعرفك الم تك ابرص يقذرك الناس وفقيرا فاعطاك الله شيئا فقال انما ورثت
هذا المال كابرا عن كابر أبا عن جد قال الملك ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت
فرده الله تعالى الى ما كان قال واتى الملك الى الاقرع ايضا في زي فقير فقال
له مثل ما قال للابرص ورد عليه الاقرع مثل ما رد عليه الابرص فقال الملك
اللهم ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت فرجع الاقرع الى ما كان عليه قال
واتى الملك الى الاعمى في زي فقير فقال رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحيل
في سفري فلا بلاغ لي اليوم الا بالله ثم بك اسالك بالذي رد عليك بصرك واعطاك
المال اسالك شاة اتبلغ بها في سفري قال كنت اعمى فرد الله تعالى علي بصري واعطاني
فخذ ما شئت فوالله لا اجهدك اليوم شيئا اخذته لله ويروى لا احمدك اليوم شيئا اخذ
لله فقال الملك امسك مالك فانما ابتليتم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك قال
مولف الحديث رحمه الله واجتمع المال وخرج جواب الى خالد بن الوليد رضي الله عنه فقبض المال
ودخل المدينة واتخذ كنيستهم العظمى جامعا وترك لهم اربعة كنائس

لاقامة دينهم وشرعهم وكتب الى عمرو بن العاص كتابا بالفتح وارسله فلما
بلغ الكتاب الى عمرو بن العاص وقرأه فرح بذلك فرحا شديدا وولى على مصر
ابا ذر الغفارى في جماعة من المسلمين واخذ عمرو بن العاص رضى الله عنه
الى الاسكندرية ودخل اليها وبنى فيها جامعا في الربض وهو معروف
بجامع عمرو بن العاص الى يومنا هذا قال ابن اسحاق رحمة الله عليه وبعد
ايام جاء اهل رشيد وفوة والمحلة ودميرة وجوجرة وسمنود والبحيرة واستقبلوا
لهم صلحا وصالحهم عمرو بن العاص رضى الله عنه على ما اتفقوا عليه ثم
بعث عمرو بن العاص رضى الله عنه المقداد بن الاسود الكندى وضرار بن الازور
ورافع بن عميرة الطائى وشاكر بن مزروع ونوفل بن الطاعن ورابح بن عياض
وعاصم بن عبد الله وقدار بن مسعود وفارس بن مزيد وعروة بن سالم وسهيل
ابن عدى وعمير الجهنى وكعب بن مالك وسعد بن عبادة ويزيد بن الخطاب
ويزيد بن عامر وعطية بن ماجد ودحية بن خليفة وصعصعة بن سوحان
وهاشم بن سعيد وجبلة بن الشريد ومزروع بن ثابت وياسر بن الاشتر
ومجمع بن سعيد ومكرم بن راشد ومرة بن الحكم وزاهر بن قيس وحنظلة
ابن كامل وعبيد بن أوس ورافع بن اسيد وسنان بن طاعن والاسود بن زكى
وغانم بن الاحوص وعبد الله بن جابر وحاتم بن ناصر وعاصم بن عمرو وجميع
من ذكرنا هم باسمائهم ستة وثلاثون رجلا واربعة لم اقف على اسمائهم
والجملة اربعون رجلا من اكابر الصحابة رضى الله عنهم اجمعين الى ناحية دمياط
قال صاحب الحديث رحمه الله وكان صاحب دمياط والحاكم عليها الهاموك
وهو خال الملك المقوقس وكان يركب في اثنى عشر الفا وكان تحت يده الف
ولد منهم خمسمائة فارس من ابطال القبط وكان قد حصن دمياط واتقنها
بالرجال والزاد والاطعمة فلما اشرف عليها المقداد برجاله الاربعين ونظر
الهاموك الى قلتهم ضحك وقال ان قوما ينفذون الينا اربعين رجلا منهم
ليملكوا بلدنا انهم لفي عجز من رأيهم وقلة عقل قال وكان ولده
الاكبر فارسا مشهورا في بلاد النيل وكان اسمه هرير وكان ابوه يثق بنجدته
وبراعته وليس في عينه من الفرسان شيء فلما نظر الى الصحابة وقلتهم طمع
في قلتهم ولبس عدته واشتمل بسلاحه وركب وخرج ببنيه وجنده
واقبل الى ميدان الحرب وصف اصحابه صفوفا قال فلما نظر المسلمون الى عسكر
دمياط وقد خرج الى حربهم واصطفوا ركبوا ايضا ووقفوا في مقابلتهم فبرز

من صنوف القتال والهاموك الكبير هزبر وجال على جواده وصال وطلب البراز فخرج اليه
ضرار بن الازور وحمل عليه وطعنه فى صدره اطلع السنان يلمع من ظهره فانجدل صريعا
من ظهر جواده يخور فى دمه وحمل ضرار على عسكر الهاموك الى سور المدينة قال
فاستهان الهاموك من ضرار وحملاته ووقع الخوف بقلوب عسكره ورجاله وضاق صدره
على ولده وتأسف عليه وبكى بكاء شديدا وعطف راجعا الى المدينة باولاده وعسكره وغلقت
ابواب المدينة ودخل الهاموك الى قصره واجتمع اليه اكابر دولته وقد صعب عليهم ما قد نزل
بهم من الصحابة فقال الملك لاصحابه ما ترون من الرأى فى امر هؤلاء القوم الذين قد اقبلوا الينا
ونزلوا على مدينتنا يريدون قتالنا واخذ بلدنا فقالوا ايها الملك الرأى ما تراه قال لا بد
لنا من الرأى والتدبير قال وكان للقوم فى المدينة حكيم يعتمدون عليه فى الرأى والمشورة وهو
ذو عقل ومشورة ومعرفة فامر الملك باحضاره فحضر بين يديه فنظر الملك اليه وقال ايها الحكيم
العالم ما الذى تشير به علينا من امر هؤلاء العرب قال الحكيم اعلم ايها الملك ان جوهرة العقل
لا قيمة لها ومن استضاء بها هدته الى سبيل نجاته وقادته الى معالم صلاحه وهؤلاء القوم ما بقى
لهم راية ولا انتهى لهم غاية وقد فتحوا البلاد واذلوا العباد واشتهر امرهم وعلا ذكرهم وانتشر
خبرهم وعلت كلمتهم وطبقت دعوتهم الارض فلا يقدر احد عليهم ولا يصل اليهم وما
نحن باشد من جيوش الشام جلدا ولا اكثر عددا ولا امنع بلدا وهؤلاء القوم قد تأيدوا
بالنصر وغلبوا بالقهر وان الرحمة فى قلوبهم وما عاهدوا عليه لا يخونوا ولا حلفوا يمينا فحنثوا
وقد بلغك ما هم فيه من الدين والديانة والصدق والامانة والرأى عندى ان
تقتضب لنا منهم صلحا فننال بذلك الامن وحقن الدماء وصون الحريم والاولاد
ونصالح القوم وندفع اليهم شيئا من اموالنا ندارى به عنا قال فلما سمع
الهاموك من الحكيم ذلك قال يا ويلك يقتل ولدى وتشير على بتسليم بلدى ثم
امر بضرب عنقه قال فلما نظر الحكيم الى المنية وقد غشيته قال اللهم انى برئ
مما يشركون لا شريك لك ولا صاحبة لك ولا ولد لك انا اشهد ان لا اله الا
الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله قال فلما سمع الهاموك
ذلك منه وثب قائما على قدميه وجذب سيفه وضربه على عنقه رمى براسه عن جسده
قال فلما نظر اصحابه واكابر دولته الى فعله مع الحكيم ما جسر احد منهم ان يشير
عليه بشئ وامسك القوم عن الكلام فعند ذلك اقبل الهاموك عليهم
وامرهم باخذ الاهبة والركوب فاخذ القوم اهبتهم وركبوا وخرجوا
الى ظاهر دمياط ونصبوا خيامهم وسرادقاتهم وعزموا على حرب الصحابة
قال وانقضى النهار ولم يكن حرب وباتوا تلك الليلة قال وكانت

الحكيم

للحكيم الديرجاني رحمة الله عليه ولدا عاقل لبيب قد ورث فضائل ابيه وكان ايضا
ذا عقل وتدبير فلما قتل الملك الهاموك اباه اظهر الفرح والسرور والدعا للملك
وقال لقد اراحني الملك منه ومن شره لانه كان يذلني ويضربني قال فلما بلغ الملك
كلامه وما قاله ابن الحكيم فاستحضره وطيب قلبه وخلع عليه فلما خرج الملك
بعسكره الى ظاهر المدينة وضربوا خيامهم وانقضى نهارهم بلا حرب فلما كان
في الليل قال ابن الحكيم والله لاخذن بثار ابي قال وكان دار الحكيم ملاصقة
للصور فنقب ابن الحكيم نقبا واسعا وخرج منه ولم يعلم به احد من الناس وقصد
الصحابة فلما احسوا به اقبلوا اليه وقالوا له من انت قال اعلموا ان ابي قتل بسببكم
ولقد نقبت في الصور نقبا واسعا وخرجت منه واتيت اليكم لتدخلوا المدينة
فتحوسوا على بركة الله تعالى وعونه حتى تدخلوا وتملكوا المدينة فقال له ضرار
يا ويلك ان الذي بعثك بهذه انما اراد قتالك اما علمت ان الحذر شعارنا والتيقظ
دثارنا قال وهم ضرار به فقال له المقداد يا ضرار لا تعجل فاني رأيت هذه الليلة
حين اخذت عيني في المنام ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اقبل الينا وهو
لنا مبشر وان هذا الغلام واقف بين ايدينا وهو يقول لنا هذا الكلام والنبي
صلى الله عليه وسلم يشير بيده الكريمة اليه فتأملته يا ضرار فرأيته في المنام
على ما هو عليه في وقتنا هذا ورايته ايضا في وسطه منطقة من الاديم
ولها حلق من فضة ثم قال المقداد اكشف يا غلام عن وسطك فرفع الغلام
ثوبه واذا بالمنطقة على وسطه فقال المقداد اشهد ان لا اله الا الله واشهد
ان محمدا رسول الله فاقبل ضرار والمقداد على الغلام وصافحوه وسر الصحابة
بذلك سرورا عظيما وركب المقداد وضرار والاربعون رجلا خيلهم بغير
انزعاج وساروا تحت الظلام والغلام بين ايديهم الى ان اتوا الى الصور الذي
نقب فيه الغلام النقب فوسعه الصحابة ودخلوا منه بخيلهم وسدوا النقب
بالحجارة والطين وقد اخذ الله تعالى عنهم ابصار عدوهم فلم يرهم احد من اهل
المدينة ودخل الصحابة الى دار الحكيم واختفوا فيها قال ابن اسحاق رحمة
الله عليه ولقد بلغني ان ابن الحكيم كان له بنو اعمام واقارب ابيه ثمانون رجلا
فسار اليهم تحت الليل واخبرهم بما فعل وكانوا ايضا قد غضبوا لقتل الحكيم
فاتوا معه الى داره ودخلوا على الصحابة وسلموا عليهم وباتوا ليلتهم عندهم
فلما اصبح الصباح فتح باب المدينة وخرج اهلها مياطلين مساعدة الملك على قتال
العرب ولم يتخلف في المدينة الا النسا والصبيان وركب الملك الهاموك

في جيشه وطلب الصحابة فلم يجدوهم ولا علموا لهم خبرا فوقع الصائح بان العرب قد
هربوا فعند ذلك بادر ابن الحكيم وبنو اعمامه الثمانون رجلا الى باب دمياط
ففتحوه ووقف منهم جماعة لحفظ الباب وثار اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم في المدينة بالتهليل والتكبير وملكوا المدينة وسلموها لابن الحكيم
ورضي عنه وخرج الصحابة من باب يقال له باب البراجيم يعني باب الجهاد وبهذا
الاسم يعرف الى وقتنا هذا قال فلما نظر الهاموك الى الصحابة وقد خرجوا من المدينة
علم ان المدينة قد ملكت وما بقي له وصول اليها وقد خرجت عن يده وصعب
عليه وخاف الرجال على حريمهم واولادهم وحاروا في امرهم قال ولما خرج
الصحابة من الباب ترتبوا للقتال وعزموا على حرب الهاموك واصحابه قال ورتب
الهاموك اصحابه ايضا للقتال فلما فرغ من الترتيب وقف في صدر عسكره تحت
صليبه ووقف ولده شطا عن يمينه لانه كان ابوه الهاموك يحبه حبا شديدا دون
اخوته لعقله واجتهاده في دينه لانه كان عالما عاقلا كثير التيقظ كامل
الادب يتبع اثار الرهبان ويجالس علماء دينهم وكان مذ نشأ ما اكل لحم
خنزير ولا شرب خمرا ولا سجد لصورة ولا قبل صليبا ولا ارتكب حراما واراد
ان يبني له صومعة وينفرد فيها فلم يدعه ابوه ومنعه من ذلك لفرط محبته فيه
قال وكان هذا الغلام شطا كثير البحث عن اخبار رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما وصل الصحابة الى مدينتهم وكان من امرهم ما ذكرنا وخرج الصحابة
من المدينة بعد ما ملكوها ووقفوا صفا واحدا ورتب الهاموك جيشه ووقف
ولده شطا عن يمينه وجعل ينظر الى الصحابة والى زيهم وقلبه مائل اليهم
فكشف الله عز وجل عن بصره لما اراد من هدايته فرأى نور الايمان يلوح عليهم
فعند ذلك شخص ببصره الى السما فكشف له فرأى ما رأى فصاح صيحة
عظيمة وسقط بوجهه على قربوس سرجه مغشيا فارتاع ابوه لذلك
واقبل عليه ومسكه خوفا عليه ان يسقط الى الارض فلما افاق قال له ابوه
يابني ما بك وما الذي اصابك قال يا ابت ظهر لي والله الحق وبان وعلمت حقيقة
الايمان ولقد رايت على هؤلاء العرب نورا عظيما ورايت معهم رجالا عليهم
ثياب خضر وبايديهم رايات صفر تزهو بالانوار وهم على خيول شهب ثم نظرت
الى الجو فرايت قبابا معلقات بلا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها وفيها رجال
ما رايت احسن منهم والانوار تشرق من وجوههم فقلت من هؤلاء فاذا قائل
يقول هؤلاء الشهدا الذين قتلوا في سبيل الله ورأيت فيها حورية زائدة الانوار

لو بدت

لو بدت لأهل الدنيا لماتوا شوقا اليها واعلم يا ابي ان الله عز وجل ما كشف عن
بصري ورايت ما رايت الا لهدايتي واراد بي خيرا وما بعد هذه الرؤية ان اكون على
الضلالة واتبع سبيل من كفر بالله وانا اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا
رسول الله ثم تحرك على جواده وقال لغلمانه من احبني يتبعني فاتبعه من القوم الف رجل
ولحق بالصحابة قال فلما اقبل شطا واصحابه على الصحابة ارموا اسلحتهم واعلنوا بكلمة
التوحيد ووحدوا الله عز وجل فاقبل الصحابة رضي الله عنهم اجمعين عليهم وقد
سروا بهم سرورا عظيما وهنوهم بالسلامة وبشروهم من الله عز وجل بالكرامة
والقبول قال فلما نظر الهاموك الى ولده شطا وايمانه بالله عز وجل ومسيره الى
الصحابة قال ما آمن ولدي الا وقد رأى الحق واني لا اشك في عقله وحسن رأيه ثم
اعلن الهاموك بالشهادتين ولحق بولده شطا قال فلما نظر القبط وامرآؤهم
واكابر دولتهم الى الملك وقد اسلم ولحق بولده شطا قالوا لولا ما ظهر لهما الحق
ما اسلموا فاسلم الجميع ولحقوا بملكهم الهاموك قال ففرح الصحابة بذلك واقبلوا
على الهاموك ورفعوا بقدره وقدر اولاده وامرائه وشكروا لهم فعلهم قال
وجدد الجميع اسلامهم على يد الصحابة وفتحت ابواب المدينة ودخل الصحابة والملك
واولاده وعسكره فمن كان اسلم تم على اسلامه ومن ابى الاسلام واراد المقام
على دينه تركوه ولم يكرهوه واخرجوهم الى الارياف والجزائر وترك عندهم المقداد
رجلا من الصحابة يقال له يزيد بن عامر رضي الله عنهم يعلمهم معالم دين الاسلام
وسار المقداد من دمياط الى الاسكندرية وحدث عمرو بن العاص بما فتح
الله عز وجل عليهم من دمياط وكيف اسلم الملك الهاموك واولاده وجنده واهل
مدينته ففرح بذلك عمرو بن العاص رضي الله عنه وكتب كتابا الى امير المؤمنين
عمر بن الخطاب رضي الله عنه يبشره بفتح الاسكندرية ورشيد وفوة ودمنهور والبحيرة
ودمياط وممنود وبعث الكتاب مع عامر بن لوى قال صاحب الحديث
رحمه الله تعالى حدثنا زياد بن عبد الله قال اخبرنا حميد الطويل قال حدثنا ابن الصباح
عن نصر بن مسروق قال لما فتحت دمياط وكان من امرها ما ذكرنا قال الهاموك
لولده شطا يا بني ان الله سبحانه وتعالى انقذنا من نار جهنم وهدانا الى الصراط
المستقيم وجنات النعيم وذلك فضل من الله عز وجل لسابقة سبقت لنا في القدم
وهذه تنيس بالقرب منا وهي جزيرة لا يصل اليها احد الا في المراكب والصواب اننا
نكاتب صاحبها ابو ثوب وندعوه الى الله تعالى ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
فان اجاب فبها والا سرنا اليه وقاتلناه والله تعالى ينصرنا فقال شطا نعم الرأي

ما رأيت وانا اكون الرسول اليه بنفسي فقال الملك اعزم على بركة الله تعالى **قال** فركب شطا واربعة رجال من غلمانه فقال يزيد بن عامر رضي الله عنه لشطا انا اسير معكم الى صاحب تنيس فانه لو سألكم عن امر ديننا لم يكن لكم خبر بجواب سؤاله ونحن بحمد الله تعالى نعلم معالم ديننا ونرد بجواب من يسألنا ولا فينا من يتكبر ولا يتجبر لان طلبنا الآخرة والعمل بما يقربنا الى الله عز وجل **قال** شطا سر معنا **قال** فسار شطا والاربعة من غلمانه ويزيد بن عامر رضي الله تعالى عنه ولم يزالوا سائرين الى ان اتوا بحيرة تنيس واذا على ساحلها مراكب من قبل صاحبها وفيها رجال يحفظون معبرها ومن يأتي من قبل دمياط **فلما** نظر اهل المراكب الى شطا وغلمانه الاربعة ومعهم رجل من العرب قالوا من انتم قال لهم شطا انا ابن الملك الهاموك صاحب دمياط ومعنا هذا الرجل وهو من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جئناكم رسلا **قال** فبعث القوم رجلا الى ابي ثوب صاحب جزيرة تنيس يخبره بذلك ويستأذنوه في العبور والقدوم عليه فرجع الرجل اليهم بذلك وقدموا لشطا وغلمانه وليزيد بن عامر زورقا فركبوا فيه وقذفوا بهم حتى اتوا مينة الجزيرة واذا الملك ابو ثوب قد انفذ لهم خيلا برسم الركوب فنزلوا من الزورق واراد شطا ان يركب يزيد معهم على الخيل فامتنع يزيد من الركوب فوافقه شطا على ذلك وغلمانه وساروا رجالة حتى اتوا الى قصر ابي ثوب فاستأذنوا عليه فاذن لهم بالدخول فدخلوا **فلما** توسطوا القصر وافوا ابا ثوب في عظيم حشمته وكثرة زينته وحجابه بين يديه وهو في مرتبته والغلمان والعبيد قيام بين يديه في خدمته **فلما** دخلوا عليه ووقفوا بين يديه بادرهم ابو ثوب بالسلام فقال يزيد ابن عامر السلام على من اتبع الهدى انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى **قال صاحب الحديث** رحمه الله تعالى حدثني تقية بن سالم قال اخبرنا جرير بن احمد قال حدثنا عيينة عن جبير وكان من اعلم الناس بفتوح مصر والغرب **قال** هذا ابو ثوب من عرب ارض العريش الذين كانوا مقيمين به وكان من متنصرة غسان وكان يقرب من جبلة بن الايهم وكان صاحب مال ورجال وانه لما ملكت المسلمون الشام وقهروا الروم وانهزم هرقل الى القسطنطينية وهرب جبلة بن الايهم بماله وعياله وما كان بقومه ايضا وركبوا البحر وطلبوا الجزائر هرب هذا ابو ثوب بماله واهله واخوته الى ارض الجفار ونزل بالبرية ما بين العريش ورفح ومسك تلك الارض واقام بها **قال صاحب الحديث** رحمه الله تعالى وان الملك المقوقس خرج ذات يوم بامرأته واكابر دولته يريد الصيد فانتهى

فقصده الى ارض العريش فانطردت بين يديه ظبية فاتبعها الملك المقوقس على جواده
الى ان رمت به الى حلل ابي ثوب بن كامل بن صعصعة فتعب الجواد ونجت الظبية وكان
ابو ثوب جالسا في مضربه فلما نظر الملك المقوقس وقد اقبل الى نحو مضربه قام مسرعا
اليه ولم يعرفه بل انه نظر الى حشمته وما عليه من ملابس الملوك فعلم انه ملك فلما
وصل اليه بجله وعظمه قدره ومسك بركابه وانزله وامر عبيده ان يأخذوا جواده
ويسيروه ويبحوه ودخل به المضرب واجلسه وامر العبيد بذبح الاغنام والاهتمام
باصلاح الطعام قال واذا بجيشه ومماليكه وغلمانه قد اقبلوا في اثره فانزلهم
ابو ثوب فلما استوى الطعام قدم الجفان مملوءة بالهبر والطعام من سائر الالوان
قال واقام الملك المقوقس وحاشيته عند ابي ثوب ثلاثة ايام فلما كان اليوم
الرابع ركب الملك المقوقس في حاشيته وسار يريد مصر فركب ابو ثوب معه وشيعه
ولم يزل معه حتى عزم عليه الملك ورده بعد ما اثنى عليه خيرا ووعده بكل جميل
ورجع ابو ثوب الى حلته وسار الملك المقوقس حتى دخل مصر وجلس على كرسي ملكه
فعند ذلك امر الملك وزيره ان يكتب لابي ثوب ولاية تنيس واعمالها وانفذ
له مع الكتاب الخلع والمماليك والغلمان قال فلما وصل مكتوب الملك المقوقس
الى ابي ثوب والخلع والمماليك والغلمان فرح وقبل الارض وسار باهله واقاربه
الى الفرمة وركب منها في المراكب وسار الى تنيس فلما ترتب في ولايته بعث الى
اخوته وباقي قومه ليأتوه فاتوا اليه فولى اخاه ابا مينا على جزيرة الصدف وولى
اخاه الثاني وهو ابو شنا على جزيرة الطير وولى على دميرا ولده مصاص وولى على
فينا مولاه ابا الاجع قال وتمكن ابو ثوب وطغى وتجبر ومرت الايام والليالي
حتى قدم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مصر وكان من امر المقوقس ما ذكرنا
من هلاكه على يد ولده الملك ارسطوليس وكيف اهلكه فلما بلغ ابو ثوب ذلك
منع الارتفاع الذي كان يحمله الى ولده ارسطوليس ورأى ان الجزيرة تمنع من
يصل اليه من الناس وحصن نفسه في جزيرته فلما ملك المسلمون مصر والاسكندرية
وما حولها من البلاد وملكوا دمياط واسلم الهاموك واولاده وجيشه وسار اليه
شطا وغلمانه ويزيد بن عامر في الرسالة وعدنا الى الحديث قال فلما دخلوا
عليه ووقفوا بين يديه ورآهم ابو ثوب اظهر عليهم الاعجاب والتكبر ولم يرفع رأسه
اليهم ولم يجسر احد من حجابه ان يأذن لهم بالجلوس فلما نظر يزيد الى ذلك قرأ
قوله تعالى ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ثم جلس
وجلس الى جانبه شطا قال ونظر يزيد الى سرير ابي ثور واذا هو من الذهب

وفيه صورة النخلة ومن تحت النخلة صورة مريم والمسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة
والسلام في حجرها فقرأ يزيد قوله تعالى فناداها من تحتها ان لا تحزني قد جعل
ربك تحتك سريا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي
الى آخر الآيات قال فلما سمع ابو ثوبيل يزيد بن عامر رضي الله عنه يتلو هذه الآيات
تغير لونه وغضب غضبا شديدا فلما فرغ يزيد من تلاوته التفت ابو ثوبيل اليه
وقال له بغضب وحمق ما هذا الكلام الذي نطقت به قال يزيد هذا كلام الله عز
وجل الذي انزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الذي لا تفنى عجائبه ولا تبدل
كلماته ولا تمثل اياته قال ابو ثوبيل فما معنى ما ذكرته وتفسيره قال يزيد تفسيره ما اخبر
الله عز وجل عن نبيه عيسى عليه الصلاة والسلام انه علم الحق ونطق به على نفسه
انه عبد الله ليس بولد جل الواحد الاحد الفرد الصمد واما معنى قوله واوصاني
بالصلاة والزكاة اني مأمور بالطاعة والخدمة مثلكم أصلي لربي وان يكن في مالي
حق لله أديته واما معنى قوله والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث
حيا اعلم الناس انه مولود لا يستحق ان يكون معبودا ومن يموت لا يكون له العزة
والجبروت ومعنى قوله ابعث حيا يعلمهم انه واياهم يبعثون يوم القيامة يوم
الحسرة والندامة ولو كانا الهين لكان لهما ارادتين ووقع الخلف بينهما ولكن
انظر ايها الرجل ترى الحكمة غير فاسدة وعلى وحدانية الله شاهدة قال فلما
سمع ابو ثوبيل كلام يزيد بن عامر اقبل عليه وقال لقد تمسكتم يا هذا بالاباطيل
وغرقتم في بحار الاضاليل فقال يزيد بن عامر الله يعلم من هو تائه في تيه الضلال
مشرك بالملك المتعالي الاله القادر الذي لا سماء تظله ولا ارض تقله ولا ليل يجنه
ولا نهار يكنه ولا ضياء يظهره ولا ظلمة تستره ولا يقهره سلطان ولا يغيره زمان وكل
ساعة هو في شان اما لكم بصائر اما منكم من ينظر ويعتبر ويتفكر في قدرة الملك القهار اما
منكم من يعظ نفسه بذهاب النهار المضي واقبال الليل الدجي اما آن لكم ان توحدوه وتعبدوه
وتنزهوه عن المشاركة وتقروا له بالوحدانية اما سمعتم كلام من تعبدونه وتشيرون
اليه وتستعظمون يعني بكلام عيسى بن مريم قد اقر لله بالوحدانية والعبودية
وقال اني عبد الله ولقد بشر بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وعرف الناس
[illegible] الله تعالى وكرامته اما سمعتم معجزاته وما قد اظهر للخلق من اياته
[illegible] اما انشق له القمر اما خاطبه الضب والحجر اما خاطبه البعير
[illegible] بيت في مضر قال فاحجم ابو ثوبيل عن رد الجواب ولم يكن له
[illegible] الا ان قال ليزيد بن عامر رضي الله عنه قد وصل الينا ما فصل

لكنه

لكنه كان سحراً مستمراً وان كان قولك هذا حقاً فادع الله وتوسل اليه بمحمد ان يسقينا الغيث فان سقانا الغيث علمنا ان قولك حق وليس فيه شك ونؤمن بالله عز وجل ونصدق برسالة محمد قال يزيد بن عامر ان الله عز وجل قادر على ما ذكرت وان الله على كل شيء قدير وان العبد المخلص اذا دعى الله تعالى اجاب دعاه والله يفعل ما يشاء ثم قام يزيد بن عامر رضي الله عنه وخرج من مجلس ابي ثوب فقال له ابو ثوب الى اين يا يزيد قال اعبد الله تعالى الذي لو شاء انزل عليكم رجزاً من السماء ثم قرأ قوله تعالى بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم فمن يهدي من اضل الله وما لهم من ناصرين قال صاحب الحديث رضي الله عنه حدثني عاصم قال اخبرنا رويم عن عبد الله عن وقاص بن جبير قال انما طلب ابو ثوب الغيث واقتصر عليه لانه كان له مزرعة بالبعد من النيل فلا يقدر يسقيها ولا يصل اليها الماء ولا تشرب الا من ماء السماء لانه كان قد صنع لها مصانع فيجتمع فيها من ماء الامطار ما يكفيها من العام الى العام فاذا انقطع الغيث في ايام الصيف كان يسقيها من تلك المصانع وكانت المزرعة منه ببال وقد غرس فيها من جميع الاثمار وكان في تلك السنة التي حضر فيها عنده يزيد بن عامر رضي الله عنه قد امسك الله تعالى عنه الغيث في ايام الشتاء ونفذ ما في المصانع وعطشت المزرعة واشرفت على اليبس والهلاك في الصيف وهو احوج الى الماء في ذلك الوقت الذي حضر عنده يزيد وكان من امرهما ما ذكرناه وطلب منه نزول الغيث وليس في الشتاء ان المطر فقال يزيد ان الله يفعل ما يشاء وهو على كل شيء قدير ثم خرج يزيد بن عامر وقصد البحر وتوضأ وصلى ركعتين ثم رفع رأسه الى السماء وفتح كفيه ودعا وقال اللهم قد امرتنا بالدعاء ووعدتنا الاجابة وانت اصدق القائلين اذ تقول واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان وقد دعوتك كما امرتني فاستجب لي كما وعدتني يا ذا المعروف الذي لا ينقضي ابداً ولا يحصيه غيرك احداً اسقنا غيثك بحق محمد المصطفى وآله الشرفا واصحابه اهل الوفا انك على كل شيء قدير قال وقاص بن جبير لقد بلغني ممن اثق به ان يزيد بن عامر رضي الله عنه كان يدعو اذ ارتفع السحاب في الجو ووقف وقفة الخاضع ورفع جناح السائل الواضع وانبعث وتالق والرعد يصول عليه صولة العاصف وهوله بصوت البرق ضارب والرعد يزمجر عليه بصلصلة فقعقعة هديره وهو على ذلك بقدرة الله مسخر يسير والاله القادر قد وكل بالسحاب ملائكة الرحمة متمنطقين بمناطق الخدمة ليسوقوه بخزائن رحمته ويجذبونه بازمة القهر بايادي صولته

والسحاب واضع اجنحة عبوديته مرسوم بسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته
والسحاب يسير بسير الجبل ويسرع اسراع الوجل والرعد يسبح تسبيح من يجد جلاله
وترى الودق يخرج من خلاله فلما استوثقت تكملت وبالماء تحملت وانبسطت
في الجو وانتشرت والرعد يزجرها والبرق بصوت لمعانه يضربها ويلمع من خلالها
هبت عليها رياح قدرته نشرا بين يدي رحمته هنالك تفتحت مصاريع ابوابها
وارتفع ستر حجابها فدمعت بدموع اشجانها على مفارقة خزانها وهطلت على
الارض بصفاء ما دموع سحابها فاستبشرت الارض عند ورودها وانتظم عقود
الزهر في جيد وجودها فاخرجت ذخائرها فرحا واستبشارا برحمة ربها
ونادى منادي القدر فانظر الى اثر رحمة ربك كيف يحيي الارض بعد موتها ونزل
المطر ينسكب بقية يومهم وليلتهم حتى سقى ارضهم وملا مصانعهم فلما
كان من الغد حضر يزيد بن عامر في مجلس ابي ثوب وقال له كيف رأيت صنع
الله الصانع المتكفل برزق العباد قال فضحك ابو ثوب وقال ان سحركم لعظيم
وان مكركم لجسيم وان السحر يفعل اكثر من ذلك فقال له يزيد انما الرحمة من الله
تعالى لانه بر تواب كريم واقسمت عليه بمحمد صلى الله عليه وسلم فاستجاب دعائي
قال فاعجز ابو ثوب عن رد الجواب حين رأى ما رأى من قدرة الله عز وجل بنزول
المطر وما ظهر له من بركات صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الان ظهر
لي الحق وتحقق عندي ان دينكم الحق وقولكم الصدق وانا مؤمن بالله ومصدق
برسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ابو ثوب اريد اعرض الاسلام على اهل
جزيرتي وعلى اهلي واصحابي واهدم الكنائس وابني المساجد وامر بالمعروف وانهى
عن المنكر فقال يزيد بن عامر رضي الله تعالى عنه اذا انت فعلت ذلك رشدت وان
انت نافقت فان ربك لبالمرصاد ثم خرج من عنده وخرج شطا وغلمانه وجمعوا
الى الهاموك صاحب دمياط وحدثوه بما كان من امر ابي ثوب فقال الهاموك
والله لقد خدعكم بخديعته ورماكم بسهم مكيدته فقال يزيد بن عامر ومكروا
ومكر الله والله خير الماكرين قال فما لبثوا الا ايام قلائل حتى جاءهم الخبر
ان ابا ثوب قد جمع العساكر من سائر الجزائر من سمينه وابا مينا وابا ساون وهو بعد
ايام يكون عندكم قال فلما سمع الهاموك ذلك قال ليزيد بن عامر نستعين بالله تعالى
ونتوكل عليه قال وبعث الهاموك ولده شطا الى البرلس ودميرة واشمون وطناح
وما تحت يده من البلاد يدعوهم الى الجهاد فاقبل القوم اليه من كل ناحية ومكان في عددهم
وعددهم وضربوا الخيام مما يلي الشرق والقبلة من دمياط وكتبوا الى عمرو بن العاص

ابن وائل السهمي واخبروه بالامر ان ابا ثوب قد جمع الجموع وهو قاصد الينا فامددنا برجال
من ابطال المسلمين قال فلما وصل الكتاب الى عمرو بن العاص وقراه انفذ اليهم
بهلال بن اوس وصفوان بن ربيعة وضم اليهم الف فارس من بادية الاعراب ووادي
القرى وامرهم بالمسير الى دمياط قال واما ما كان من ابي ثوب فلما اجتمعت اليه
الجموع عرضهم بطا هر تنيس واذا هم عشرون الفا من الرجالة ومن الخيل خمسمائة
فارس من القبط ومن العرب المتنصرة وخرج بهم في المراكب وساروا الى ان قربوا
من دمياط وخرجوا من المراكب ونزلوا بازاء المسلمين وصفوا صفوفهم وعزموا على
الحرب قال وتقابل الجيشان فاول من خرج من صفوف المسلمين كان شطا بن الهاموك
فخرج على جواده وحمل على الاعداء فقتل رجالا وجندل ابطالا لانه رحمة الله عليه
اشترى الايمان بنفسه وشرح الاسلام صدره واشتاق الى دار السلام وذلك
عند ما لاحت له الانوار وانفتحت له ابواب قلبه بمعرفته ولم يزل يقاتلهم بقية
يومه الى ان جن الليل ورجع من قتال القبط الى الصلاة والقيام وطول ليلته قائم
على الاقدام في خدمة الملك العلام متدرعا بالخوف والوجل منكس الراس خجلا
من الرب عز وجل فلما انتصف الليل وطلع نجم سهيل اضطجع فلما كان وقت
الغلس وقرب الصبح وتنفس استيقظ شطا وهو باكي العين فقال له ابوه
ما الذي يبكيك يا بني قال له اني رايت في منامي ما لا ابصرته وسمعت كلاما سمعته
والدنيا مني طالق فقال له ابوه اعوذ بالله يا بني من هذا الكلام ولعل ذلك يكون اضغاث احلام
فقال والله يا ابي ما هو اضغاث احلام ولكنه قرب من الملك العلام الذي اجرى الافلاك وخلق
الضيا والظلام وبعث سيد الانام الى الخلايق بشرايع الاسلام واني رايت
في نومي كان ابواب السماء قد فتحت وانوار الهداية قد سطعت ولمعت فرايت
ملائكة سماء الدنيا ومنهم سجود لا يقومون ومنهم ركع لا ينتصبون ومنهم
قيام لا يقعدون وهم من خشية ربهم باكون لا تنشف لهم عيون ورايت كذلك
سماء بعد سماء الى السماء السابعة ثم رايت في السماء السابعة قبة من الزمرد الاخضر
وفيها قناديل من الجوهر الابيض وهي تزهو بالانوار وتتقد من غير نار وفي القبة
اربعون حورية عليهن حلل ما رايت في الدنيا مثلها ولا شكلها ووجوههن كوجوه
الانس ولكن نورهن يكسف الشمس وفي ارجلهن نعال من الياقوت الاحمر
يطان بها على فرش الاستبرق والحرير على اسرة السرور فصاحت بي احداهن وجعلت
تقول يا مفتون بدار الغرور اما آن لك ان تذكرنا وترغب في قربنا اما تعلم انا من
اجلك خلقنا ربنا وجعل مهرنا منك الجهاد فما هذا الهجر والبعاد الفت الجفا

فهكذا اصنع اهل الوفا والآن فقد نفدت الميقات وانقضت الساعات فقم
من المنام وبادر الى الرحيل واقصد دار السلام وارفع رأسك ترى ما اعد الله تعالى
لقوام الليل وصوام النهار والمجاهدين الابرار فرفعت رأسي فرأيت قبابا معلقات
لا يدرك لها نهاية بعدد النجوم وقطرات الغيوم في كل قبة منها مثل ما رأيت
في تلك القبة الاولى من الحوريات عليهن الحلي والحلل تشرق منهن الانوار فطلعت
علي منهن حورية لو اطلعت على اهل الدنيا لاغنت بنورها عن الشمس والقمر جعلت
تقول شعر

انت يا مغبون مانت — رح في بحر المنام
فدع السهو وبادر — مثل فعل المستهام
وسح الدمع سيلا ما — نلت شيئا في المنام
ايها اللائم دعني — لست اصغي للملام
انني اطلب ملكا — نيله صعب المرام
في جنان الخلد والقصر — وعروس من دار السلام
وعروسا فاقت الشمس — مع البدر التمام
طرفها يرشق بالالحا — ظ مصيبات السهام
ولها صدغ على الخد — كنون تحت لام
احسن الاتراب قدا — في اعتدال وقوام
مهرها من قام ليلا — وهو يبكي في الظلام
يا اماني ورجائي — وعمادي والمرام
فاستمع مني كلامي — ثم فكر في النظام
وغدا بادر بحرب — الى ضرب الحسام
فات يا سيدي تجدني — بعد ترحال الظلام

قال فلما سمع الملوك ما قص عليه ولده شعطا قال يا ولدي اعلم ان من المنام ما يصدق
ومنه ما يكون اضغاث احلام فلا تشغل قلبك بما رأيته في منامك قال لا والله
يا ابتي ما هو اضغاث احلام بل هو كرامات الملك العلام وما بقي لي يا ابتي
في الدنيا مطمع ولم يزل في ليلته يبكي ويتضرع ويقوم على اقدام التذلل
ويخضع ويخشع واجفانه من خوف الرب تدمع الى ان اصبح الصباح واشرق
بضيائه ولاح وركبوا للقتال وودع شعطا اباه واهله واخذ اهبته وتكلف
بعدته وسلاحه وركب جواده فتعلق ابوه به وقال يا بني بحق عليك لا تبليني

بقرا الملك

بفراقك فقال له شيطا دع عنك العتاب فقد قرب لقا الاحباب فعندها قامت المأتم
وانهلت الدموع السواجم وجرى من كل عين عين وودع الهاموك والده وقال يا بني
ان صح منامك وضربت دار السلام خيامك فاذكرنا بحسن طريقة الوفا واقرأ سلامنا
على محمد المصطفى قال صاحب الحديث رحمه الله تعالى وبرز الغلام شيطا الى
ميدان الحرب وجال على جواده ودعا البراز فخرج اليه من عسكر ابي ثوب فارس فقتله
وثاني وثالث ورابع وخامس ولم يزل يجاهد حتى قتل اثنا عشر فارسا من عسكر ابي
ثوب فلما نظر ابو ثوب الى ما صنع الغلام شيطا بفرسانه لم يطق الصبر دون ان يخرج
بنفسه وكان من الفرسان المذكورة فلما ساوى شيطا في حومة الميدان قال يا غلام
كيف تركت الدين المستقيم واتبعت هؤلاء العرب ودخلت معهم في دين الاسلام
لقد حل فيك سحر القوم واستوجبت العتب واللوم عد الى الدين الصحيح دين سيدنا
المسيح قال فلما سمع شيطا كلام ابي ثوب غضب عليه وقال يا لعين اتامرني ان اترك
الدين المستقيم الذي كان عليه الخليل والكليم وقد انكشف لي ما اعد الله
تعالى من الخير العميم قال فلما سمع ابو ثوب كلامه غضب وحمل عليه ومد سنانه
اليه فالتقاه شيطا بقلب قوي وعزم مضي وحسام مشرفي وتقاتلا قتالا شديدا
وتجاولا على خيولهما ولم يزالا في القتال الشديد والضرب الفسيح مقدار ثلاث ساعات
حتى قطع النهار وملاهما الغبار فاراد الله تعالى ان يطيب قلبه ويسكن لبه فكشف
عن بصره فرأى القبة التي كان رآها في نومه والحورا التي انشدته الابيات وفي كفها
كاس من الجوهر وفيه ماء من نهر الكوثر وهي تقول يا شيطا هذا شراب من شربه
لا يشقى ولا يفنى ولا يهرم ولا يسقم والساعة تصل الينا وتقدم علينا فلما نظر
شيطا الى ذلك صاح الله اكبر الله اكبر الله اكبر هذا ما وعد الرحمن وصدق
المرسلون ثم اشتد في البكا فقال له ابو ثوب ما ابكاك يا غلام فقال له رأيت
كذا وكذا فتقبل ابو ثوب منه وحمل عليه وتقاتلا قتالا شديدا اعظم من الاول
واشد الا ان ابا ثوب سبق شيطا بطعنة في صدره اطلع السنان يلمع من ظهره
فخر صريعا فلما نظر الهاموك الى ولده شيطا مجندلا قتيلا لم يطق الصبر
دون ان حمل بنفسه واصحابه على عسكر ابي ثوب والتقى الجمعان وتقاتل الفريقان
وعلا القتام وبقي الافق كالظلام وعمل الحسام في رقاب الرجال واشتد النزال
وعظم القتال ودارت رحى الحرب وكثر الطعن والضرب واخذ اصحاب الهاموك
الملال والكلال وقد قوي عليهم اهل الشرك والضلال فرجعوا منهزمين من
ابي ثوب الى دمياط فالبين وطمع فيهم ابو ثوب واصحابه وظنوا انهم في قبضتهم

اذ أشرفت عليهم رايات المسلمين وابطال الموحدين يقدمهم هلال بن أوس وقد رفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير فلما نظر الهاموك الى رايات الاسلام علم ان الامير عمرو رضي الله عنه وارضاه وجعل الجنة منقلبه ومثواه قد انجده بالصحابة الكرام فقوى قلبه وصاح في جنده وقال يا اهل الاسلام قد جاءكم النصر من الملك العلام فاحملوا الآن على الكفرة اللئام ثم حمل هو واصحابه على عسكر ابي ثوب وعطفت على ابي ثوب وقال يا عدو الله جاءكم اهل الصدق والصفا والايمان والوفا وذهبت والله ارواحكم وقربت آجالكم قال الراوي فلما اقبل هلال بن أوس صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الف فارس نظر الى القتال فاشتاق الى الطعن والنزال فحمل بالراية المنصورة على الاعداء اللئام وجال بين الصفين وحمل هو واصحابه واشهروا السيوف وقتلوا من الكفار وكل جبار عنيد وكشفوا عن الهاموك واصحابه العار واخذوا بالثار فلما نظر ابو ثوب الى ما نزل به من المسلمين ايقن بالهلاك والعطب وصاح في اصحابه وحمل وقاتل قتالا شديدا بقلب اقوى من الحديد فبينما هو يجول اذ لقيه يزيد بن عامر رضي الله عنه ثم حمل عليه واعانه الله سبحانه وتعالى عليه فاخذه اسيرا وقاده ذليلا حقيرا وقد صاح الصياح في الكفار باسر ابي ثوب ونزل النصر على اصحاب محمد المختار فولت الكفار الادبار وركنوا الى الفرار وقد تبعهم المسلمون في الاثر وقتلوا من كفر ولم يكن لاصحاب ابي ثوب حصن يلتجئون اليه ولا بلد يرجعون اليه والبحر في وجوههم والمسلمون في ظهورهم فاستسلموا للقضا والقدر واعطى الله سبحانه وتعالى المسلمين النصر والظفر فاخذوا ابا ميناء وابا شنا وهما اخوا ابي ثوب وقبضوا على بنيه عمه وولاة الجزاير والبلاد قبضا بالكف وقتل من قتل وأسر من أسر وقد رجع المسلمون الى دمياط فرحين مستبشرين بنصر رب العالمين ثم اقبلت الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين الى الهاموك رضي الله عنه وعزوه في ولده شطا رحمة الله عليه فشكرهم وقال هذا ما وعدنا الله ورسوله وقد احتسبته عند الله وصبرت لقضائه وقدره فقال له يزيد بن عامر اعلم ان في الجنة درجة لا ينالها الا الصابر قال الله تعالى الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون قال ابن اسحاق ثم دفنوا الغلام شطا رحمه الله موضع ان استشهد في ثيابه فلما كان من الغد اقبل الهاموك الى خيمة يزيد بن عامر وقال ايها الامير رأيت البارحة ولدي شطا في المنام وهو في القبة التي وصف لي والحور بين يديه فقلت له ما فعل الله بك قال قبلني احسن قبول وجاد علي بالسؤل والمأمول وانزلني في جوار

الرسول

الرسول مع البشير النذير وكان من امره انه يستغفر ان زار قبري ثم ان هلال بن أوس احضر ابا ثوب وعرض عليه الاسلام فأسلم وكذلك اخوته وبنوا عمه وعرض الاسلام على بقية الاسرى فمنهم من اسلم ومنهم من بقي على دينه فاقرهم على اداء الجزية من عامهم المقبل ثم ركبوا في المراكب الى تنيس وامر هلال ببناء الجامع موضع كنيستهم العظمى وكذلك جميع الكنائس التي في الجزاير واخرج ابو ثوب من ماله ومال قومه الخمس وبعثوا به الى الامير عمرو بن العاص رضي الله عنه ونزل على التل الاحمر ظاهر تنيس واقر اهل الجزاير في مواضعهم فلما اقر بهم المقام قالوا لهلال بن أوس أيها الامير قد امنا من قبلكم وبقي علينا الخوف من موضع اخر قال هلال ابن أوس ما اعلم لكم عدوا فما لوا بلى قال من فقالوا نخشى على انفسنا من اصحاب القلعة الكبيرة المسماة بالفرما وكانت قلعة كبيرة على جانب بحيرة تنيس مما يلي شرقيها وكان عليها الصامت بن مرة من آل هرداس فلما سمع هلال بن أوس بذكر القلعة اقبل عليها بجميع من كان معه من العرب واهل تلك الارض ونزل عليها وحاصرها فاشرف عليهم الصامت وامر اصحابه ان يرموهم بالسهام وكان فيها الف رامي فرموا عن قوس واحد الف سهم واقام على حصارها عشرين يوما فلم يقدر عليها فبعث الى عمرو بن العاص يعلمه بذلك ويامرها ويستنجده فندب اليه عمرو المقداد في خمسمائة من العرب وثلاثة الف من اسلم من القبط قال الراوي فلما نزل المقداد على الفرما ونظر الصامت بن مرة الى ما نزل به من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحصار المسلمين علم انه سيد القوم لانه ليس له منجد ولا ناصر فصالح المقداد على ان يؤدي للمسلمين اربعة الف دينار واربعمائة ناقة والف راس من الغنم وان يمهله الى تمام السنة فان شاء استمر على اداء الجزية الى المسلمين وان شاء يرحل باهله ومن يصحبه ويسافر حيث شاء فاجابه المقداد الى ذلك ورحل المقداد وهلال بن أوس بمن معهما من عساكر المسلمين وساروا الى ان نزلوا على البكارة وكان عليها الباقر بن الاشرف فاسلم هو واهله ومن كان معه ووصلوا منه الى القصير/ففتحوه صلحا ثم ارتحلوا منه الى الوادة والى الان تعرف بهذا الاسم فسلمها اهلها وارتحلوا الى العريش فسلم اهله وكذلك غزة وعسقلان فتحت جميعا بالصلح وذلك من فضل الله وكرمه قال ابن اسحاق رضي الله عنه ولما فتح الله سبحانه وتعالى مصر وبلادها على يد عمرو بن العاص رجع خالد بن الوليد رضي الله عنه وكبرآء الصحابة وابطال المسلمين وعبد الله يوقنا وبنوا عمه واصحابه الى الشام الى ابي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه وهو نازل على بحيرة

طبرية فالتقاهم ملتقا حسنا وهناهم بالسلامة وبشرهم من الله بالكرامة واقاموا
على بحيرة طبرية الى ان ورد كتاب امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بتجهيز
العساكر الى بلاد الشرق وربيعة وديار بكر فبعث وايد عياض بن غانم الاشعرى
وسنذكره في الجزء الثالث عشر ان شاء الله تعالى في فضايل دمياط وسلامتها من
العدو وبينتك وان الله تعالى ايدها بالملايكة من عنده قلت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ستفتح على امتي مصر فالزموا المدينة البيضا على شاطئ البحر
التي تسمى دمياط حدثنا شيخنا بكر بن سهل الدمياطي يرفعه قال تغزو الروم
دمياط فيقاتلون ويأسرون فيظهر على الروم سبعون رجلا يبلغ نور وجوههم
السماء ثم يعسكر الى النصرانية بيننا من المسلمين فيقهرهم فيقولون انطلقوا الى
دمياط فيها الله انزل دمياط بالملايكة ان الناس ليرون الملايكة في السما
عليهم السلاح فيدورون باهل دمياط وروى مالك بن انس عن نافع بن عمر
رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستفتح عليكم الاسكندرية ودمياط فاما
الاسكندرية فخرابها من البر واما دمياط فهم صفوة من الشهداء من رابط بها كان
معي في حضيرة القدس مع النبيين والشهدا وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لهم عليكم السلام ورحمة الله
وبركاته فقلنا يا رسول الله على من تسلم قال هم الصفوة المرابطون بدمياط فقلنا
يا رسول الله ودمياط بلد قد ذكر قال نعم اهل السماء يرشون بركة عن يمين وشمال
ما دامت السموات والارض ليس لهم عدد الا الله او كلمة فقلنا يا رسول الله ايما
افضل الرباط بعسقلان او بالاسكندرية قال دمياط اتدري يا ابن عباس لم
سميت دمياط قال لا قال لان ادريس عليه السلام لما نزلت عليه الصحف نزل فيها انا
الله ذو الجبروت والتدبير بامري وصنعي اجمع بين العذب والمالح والليل والنهار
كل ذلك بعلمي ومكنون سري لا تحصيه قالت الدال والميم والالف والطاء
الكرخي دمياط بالسريانية قد وقد حدثنا بكر بن سهل الدمياطي رحمه
الله قال اخبرت ان رجلا يقال له احمد بن محمد بن فضالة يروي
الحديث بسيراف فسرت الى بلده فرايت شيخا رجل قد ربا وتسعين سنة وقد سقط
حاجباه على عينيه فسلمت عليه فرد علي السلام وقال من الرجل قلت من بلدة يقال
لها دمياط على شاطئ البحر فقال ما اسمك قلت بكر بن سهل الدمياطي قال
فادنافي منه ثم رفع حاجباه بعكازه ثم قال الحمد لله الذي لم امت حتى رايت
رجلا من اهل الجنة فقبله ومشواه وانا قال الشاكي بدمياط كالطير

في سبيل الله والقائم بها كالمتشحط بدماه والميت بها شهيد من مات بدمياط
فكأنما مات في السماء السابعة وهي المدينة البيضاء يبعث أهلها شهداء وعشرة
شهداء وقيل إن اسم دمياط في التوراة البيضاء وفي الانجيل الخضراء قال محمد
ابن سهيل الدمياطي مدينتان معصومتان من الفتن يموت أهلها شهداء
ويحشرون شهداء دمياط وتنيس لا يأتيهما الشر حتى يخمد من أراد بهما سوءا
قصمه الله تعالى

باب في شطا وفضلها

حدثنا بكر بن سهيل بن
قال ابن اسحاق بين شطا ودمياط مثل الكافور من سعى اليها وركع بها فكأنما
ركع بين الجنة والكرسي فحرضوا على المسير اليها فانها بقعة مباركة وهي من
بقاع الجنة قال ابن اسحاق رضي الله عنه حدثنا عمر بن الاصبغ عن سعيد
عامر بن خويلد قال قتل سيدي شطا في الليلة المباركة التي قال الله تعالى
فيها يفرق كل أمر حكيم وهي ليلة النصف من شعبان بفضل الله تبارك
وتعالى تلك الليلة موسم الزيارة قلت وهي الى الآن وهذا
ما انتهى الينا من فتوح مصر المبارك على التمام والكمال والحمد لله على كل حال
وصلى الله على علم الهدى وكنز العطا سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
تسليما كثيرا دائما ابدا الى يوم الدين

قد تم طبع هذا الكتاب بعون الله الملك الوهاب بمطبعة
الحجر الباهرة الكائنة بأرض مصر القاهرة على ذمة ملتزميه
كل من عين الأعيان هما حضرة الحافظ محمد افندي
والحافظ عبد الرحمن محرر الراجي عفو ربه المنان
الفقير احمد عثمان وقد انتظم در كماله وافتر ثغر
جماله في سبع وعشرين خلت من شهر محرم
الحرام الذي هو افتتاح عام سنة خمسة
وسبعين بعد المائتين والألف
من هجرة من خلقه الله على
احسن وصف صلى الله
عليه وعلى آله واصحابه
ما لاح بدر تمام
وفاح مسك
ختام